روايات عبير

ابنة القاضي

WWW.REWITY.COM
مرمورية

Victoria PRESTON

N° 616

روايات عبير

تبادلا النظرات وكل منهما غير قادر على التنفس. إلى أن قال لها :

- اسمعي هذه المعلومة: ليس من يحيا بمفرده. لا أحد، لا يوجد إنسان وقد تكون له جزيرة بمفرده .

نعم إنك صخرة.. إنك قوية... ولكن....

لكن ترددت هذه الكلمات مرة أخرى على لسان والدها :

- سيأتي اليوم الذي سوف تكتشفين فيه أنه لا يوجد إنسان مستقل تماما، قائم بذاته . منفرد في الحياة .

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-92-6

9 789953 424927

الشخصيات

- "لوك ماك جريجور" : مؤسس ومدير شركة "تير مودين" .
- "دليلة بومنت" : ابنة قاض، جامعية تعمل على تربية المواشي في مزرعتها الموروثة عن جدتها، وتجيد أيضا النسيج كهواية .
- "أندرو بومنت" : والد "دليلة" .
- "جلينا" : أخت "لوك" .
- "مارا – چان" : صديقة "دليلة" .
- "روي" : زوج "مارا– چان" .
- "بيتي" : زميل وصديق "لوك" .

المقدمة

هل كان ميل بطلة الرواية إلى الاستقلال والذاتية راجعا إلى غرورها أم إلى الظروف المحيطة بها ؟

هذا- عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة- ما يتكشف لنا عندما نتصفح هذه القصة الزاخرة بالمواقف الاجتماعية اللازمة للحياة، والمشاعر العاطفية والوجدانية الرقيقة التي لا تقل حاجتنا لها عن حاجتنا لاستنشاق الهواء .

الفصل الأول

- "ماي داي" ... "ماي داي" !

كان "لوك ماك جريجور" يصدر هذه الرسالة بالراديو منذ لحظة. كان يسعى إلى استعادة الاتصال الجيد بينما كانت الطائرة تصدر أزيزا غير طبيعي .

صاح في آلة الإرسال :

- "بيتي" ، هل أنت مستمع ؟

أجاب هذا الأخير- بصوت هادئ لا يوحي بأي شكل - بأنه متأثر لمعرفة أن صديقه في خطر :

- نعم. أين أنت ؟

قال "لوك" :

- مازلت في الهواء حتى هذه اللحظة... اسمع. سأحاول الهبوط؛ إنني لست على ارتفاع مناسب لكي أعود إلى "موناش" .

قال "بيتي" :

- ما رأيك في "بيشوب" ؟

قال "لوك" :

- لست متأكدا من الاتجاه! لقد عثرت على مزرعة بأسفل من خلال السحب. سألقي نظرة عليها .

قال "بيتي" :

- وهل تعتقد أنك قادر على إيجاد طريق ؟

قال "لوك" :

- إن كل الطرق - لمن يراها من هنا - تبدو متعرجة. حسنا، سأهبط... أوه...!

قال "بيتي" :

- ما الذي يحدث ؟

قال "لوك" :

– يوجد مرعى، غير أنه مليء بالصخور، لا. لا. انتظر: إن الصخور تعطي إحساسا بأنها تتحرك .

ركز "لوك" على أوامر الجهاز وتخلى عن الراديو لعدة لحظات .

ساله "بيتي" :

– "ماك". هل مازلت هنا ؟

رد "لوك" :

– نعم. وسأحاول أن أهبط. ألق نظرة إلى عقد التأمين، وراقب إذا كنا بالقرب من الخراف .

قال "بيتي" :

– خراف ؟

قال "لوك" :

– إلى لقاء قريب يا "بيتي". شبك أصابعك، سوف ألمس...

علق "لوك" الذراع بكل قواه وتمالك نفسه وقال :

– إذا كنت ترغب في الهبوط فأخل المهبط، الخراف. هأنا !

*****

عندما كانت "دليلة بومنت" مشغولة بإصلاح جزء من السياج المعدني سمعت الطائرة تقترب منها. عملت على حجب الشمس بيدها؛ حتى تتمكن من رؤية الطائرة في السماء، وعندما حددت مكانها بدا لها بوضوح أنها ستهبط على المرعى الخاص بها فما كان منها إلا أن صاحت من الغضب قبل أن تنطلق كالمجنونة. ثم قالت :

– أوه، لا !

وكان حينئذ ذعر بين القطيع الذي تبدد في كل الاتجاهات يلاحقه ظل الطائرة الضخمة .

صاحت مذعورة :

– "ليدي" ! أعيديها !

بدت فورا الكلبة واتجهت نحو الحيوانات التي كانت قد اعتراها الخوف. وكان الحيوانات قد اطمأنت عندما شعرت حقا أن الكلبة مستعدة لعض من يعصيها .

أما "دليلة" – وإذ اطمأنت لهذه النقطة – فقد حولت نظرها إلى الطائرة التي كانت موشكة على ملامسة الأرض .

ارتطمت العجلات بقوة بالمهبط؛ قفزت للمرة الأولى الطائرة الضخمة ذات اللون البرتقالي ثم توقفت. كذلك الموتور قد أصدر صوتا للمرة الأخيرة ثم سكت .

تقدمت "دليلة" بخطوات غير واثقة؛ لأنها كانت مازالت متأثرة لهذا المشهد. فتح الباب، وإذا برجل يلبس بنطلون "جينز وچاكيت" يخرج منه. كانت قطرات دم تسيل على وجنته من شعره الكستنائي ومع ذلك كان يبتسم مثل صبي صغير مقدام .

قال لها :

– تحية يا صغيرتي. أنا آسف لكني قد لاقيت مشكلة عطل في الموتور. هل يوجد أناس هنا في هذه الناحية ؟

أشارت إليه "دليلة" بـ"لا" بإيماءة من رأسها وهي تراقب جرحه. حقا كانت على دراية بالعلاج البيطري لكنها طبعا بعيدة كل البعد عن التمريض البشري !

قال الرجل :

– اسمعي يا صغيرتي، لا تقلقي. لن أموت من هذه الصدمة. غاية ما في الأمر أنني ارتطمت عند الهبوط لكني في احتياج إلى بعض العون، اطلبي لي والدك يا صغيرة !

أجابت بجفاف :

– إني بمفردي هنا .

ثم نزلت تحت ذراعه؛ لكي تساعده على المشي .

أردفت عندما اعترض :

– إني أقوى مما يبدو عليّ .

إن في نظرات هذا الرجل شيئا عجيبا. هكذا كانت تفكر، ولم تحتج إلى وقت طويل لكي تلتقي أخيرا برجل جذاب .

كان هذا الشخص– في الواقع– يتمتع بثقة قوية في النفس؛ كان هذا النوع من الرجال الذي يعرف كيف يجعل من يراه مضطرا إلى تقديره. كما أنه كانت له عادة وهي أن يكون مخدوما ومطاعا .

قال الرجل :

– كم عمرك يا صغيرتي ؟

أجابته :

– إني أكبر مما أبدو .

وصلا إلى باب المرعى وحررت "دليلة" يديها؛ لكي ترفع مشبك البوابة، كان "لوك" يعمل– على قدر استطاعته– على ألا يتكئ عليها بشدة غير أن ساقيه كانتا قد بدأتا في التخاذل. كيف ستتصرف إذا فقد وعيه هنا؟ كيف ستعيده إلى المنزل ؟ وعلى كل حال ماذا كانت ستعمل به ؟

ولما دخلا أجلسته في المطبخ، أخرجت منشفة وفتحت الصنبور لكي تبللها، رأته من فوق كتفها وهو يمسح الحجرة بنظرة. ثم قال الرجل :

– إنك بمفردك هنا؟ اسمعي إني متأثر جدا من أجل خرافك. أتعشم ألا أكون قد تسببت في أي خسائر .

التفتت إليه وهي تضع المنشفة المنداة بالماء على رأسه وقالت :

– أرجو ذلك أنا أيضا .

استسلم لها "لوك" . أغمض عينيه وكان وجهه أشبه بوجه صبي. استطردت :

– مازال رأسك يدمي. من الأفضل أن ألقي نظرة على الجرح .

أمال "لوك" رأسه مشيرا إلى موضع الألم. قالت بصوت منخفض:

– آه إنه هنا .

أزاحت الشعر برفق واكتشفت جرحا أحمر قانيا أعلى رأسه... ارتبكت أمام نظراته الخارقة فقامت بحركة خاطئة ولمست الجرح. أبعد يدها وهو يئن متألما.

تمتمت :

– آسفة. إن هذا القطع محتاج إلى عناية والآن إني مضطرة إلى الاهتمام بخرافي قبل الليل صدقني أن....

ثم أمرته بألا يتحرك، وكانت معجبة بأنامله النحيفة بينما كان هو يطيعها في وداعة.

خرجت الفتاة؛ لكي تتصدى للثلج المتساقط وهي تدور من تأثير شدة الرياح، أثناء ذلك كانت تشعر بأنها مذنبة؛ إذ إنها أهملت رجلا جريحا من أجل خرافها .

لكن كان لابد أن تتصرف كذلك؛ لأن قطيعها هو كل ما تمتلك، وها هي الآن قد جنبته الخطر، وعندما وصلت إلى موضع العلف قابلت "ليدي" التي كانت لا تغفل عن القطيع ثم قالت :

– حسنا يا "ليدي" . سنعمل على إدخاله !

قالت هذا وعملتا كلتاهما – هي وكلبتها – على الالتفاف حول الخراف ودفعها إلى الحظيرة .

تجمعت الحيوانات متجهة نحو مأواها. تبعتها "دليلة"؛ لكي تقدم لها الطعام، ولكي تقوم بعملية الحلب، وبعد أن أتمت مهمتها صفرت لـ"ليدي" وعادت إلى المنزل. كانت تشعر بأنها متعبة بعض الشيء، كانت أصابعها قد تورمت من شدة البرودة وكذلك عيناها كانتا تدمعان ثم بدأت تعطس .

كان عليها أيضا الاهتمام بهذا الرجل الذي ألقى به القدر إليها...

الفصل الثاني

كان "لوك ماك جريجور" مازال جالسا في نفس المكان عندما دخلت "دليلة". كان واقفا صبورا مشبكا ذراعيه والمنشفة على رأسه، تماما كما تركته.

عندما رآها لم يستطع "لوك" أن يسيطر على دهشته. قال لها :

– لماذا لم تخبريني بشيء ؟

سألته بنبرة تكشف عن تأثرها :

– كيف ذلك ؟

قال بلطف :

– إنك لست فتاة صغيرة، وإنك لست تحت رعاية والدك .

أجابت وهي تقف من خلفه :

– لا أهمية لذلك حاليا. وأي فرق في ذلك؟ لقد كنت محتاجا إلى معونة وأنا الوحيدة التي كانت تستطيع القيام بذلك .

رد متعجبا :

– أي فرق ؟!

كان يريد أن يلتفت إليها، وأن يتفرس فيها لكنها وضعت أصابعها في شعره وأمسكت برأسه. قالت وهي مرتبكة بعض الشيء :

– قف ساكنا. هذا الجرح رديء في الحقيقة، وكان ينبغي أن تذهب للطبيب .

أدخل "لوك" يده في سترته وأخرج منها علبة سجائر. مطت "دليلة" شفتيها فقال لها :

– آسف. إنه في إمكاني التخلي عنها إذا كان التدخين يضايقك. كانت "دليلة" لا تحب رائحة التبغ لكنها وافقت نزولا على رغبة الجريح . ثم أردفت :

– أنا عاجزة عن التصرف معك؛ لأني لم أعتد على حوادث

الطائرات.

قال "لوك" :

– حادثة؟ لقد كان هبوطا مفاجئا !

قالت "دليلة" :

– نعم وفي المرعى الخاص بي! أخبرني: ألم يكن في إمكانك الهبوط في أي مكان بعيد عن أرضي؟ كان من الممكن أن تتسبب في قتل خرافي! كل ما أملك !

قالت هذا وانخرطت في البكاء فقال "لوك" :

– إني آسف حقا؛ لأن رؤية هذا المكان من أعلى كانت توحي بأنه أفضل مكان للهبوط. هل عندك خسائر ؟

أجابت :

– لا. لا أعتقد، لكن وجب أن أتأكد .

أطال "لوك" النظر إليها ثم أردف :

– أنا لا ألومك على ثورتك هذه، هل حقا تعيشين بمفردك؟ وهل أنت مسؤولة عن كل شيء هنا ؟

قالت في افتخار :

– إن كل شيء هنا لي .

حينئذ أطلق "لوك" صفير إعجاب لكن نظراته كانت تعبر عن السخرية ثم قال :

– إنه عمل كبير بالنسبة لفتاة صغيرة مثلك.

استبد بها الغضب ونزعت عنها كل ما كان قد سكن فيها من مؤثرات أخرى .

قالت له :

– أولا: إني امرأة وثانيا: إذا سمعتك مرة أخرى تتفوه بعبارات شك في قدرة المرأة على تربية الخراف فسوف... سوف...

قال لها مبتسما في مودة :

– إيه! هدئي من ثورتك. أنا لم أكن أبغي التعرض لك .

قاطعته فجأة :

– كيف علمت ؟

قال متسائلا :

– ماذا ؟

فأجابت :

– أني لست فتاة ؟

أجاب بهدوء :

– إنها حاستي. بالتأكيد، لقد قمت بجولة صغيرة ورأيت ...

قاطعته وقالت :

– جولتك الصغيرة ؟ في منزلي ؟

أجاب "لوك" :

– لا تغضبي. أنا لم أتجول لكي أسرق. كنت أبحث عن الحمام، التليفون ومنفضة سجائر... ووجدت الحمام... أحقا تغتسلين في هذا المكان القديم، البارد؟

أجابت :

– آسفة. إذا كان هذا لا يناسبك ففي إمكانك البحث عن فندق أو خان. كما أنه لا يوجد تليفون هنا .

قال "لوك" :

– حسنا. لا وجود للتليفون لكني مضطر إلى أن أطلب منك أن تساعديني على النزول إلى المدينة. لابد أن يكون بها طبيب وتليفون.

نهض وارتطمت ساقه بالمائدة لأن خطواته كانت غير ثابتة؛ خار، ثم سقط ممددا على الأرض. جثت "دليلة" إلى جواره .

أمسكت به من كتفيه وهزته بهدوء وهي تتساءل: "كيف ستخرج من هنا؟" بدأ الخوف يتملكها، إنه في الواقع لم يفقد سوى قليل من الدم، لكن كان لابد من مراقبته والعناية به .

أدارته على ظهره. لقد أصبح ثقيلا؛ لأنه فاقد الوعي. يالله من إحساس غريب أن تتأمل هذا الوجه النائم الذي لم يعد يؤثر على "دليلة" !

مرت بيدها في شعره ثم أخرجتها مبتلة بالدم. لقد فتح الجرح ثانية من تأثير السقوط .

توجهت إلى صيدلية منزلها وعادت وبيدها مطهر، جلست على الأرض، وأمسكت برأسه ووضعته على ركبتيها؛ وبعد أن نظفت الجرح أمسكت "دليلة" بإبرة كانت قد أحرقت من قبل ثم بدأت عملية الخياطة الدقيقة، عند ثالث غرزة تحرك "لوك" محاولا التخلص من يديها لكنها أمسكت برأسه جيدا.

قال أولا :

– أنا على الأرض .

ردت عليه :

– بالضبط. لا تتحرك من فضلك .

سألها :

– ماذا تعملين ؟

أجابت :

– إني أخيط الجرح. لا تشغلني، إنها أول تجربة لي على إنسان لكني أتصرف جيدا مع الكلاب والخراف. هل... كنت قد طعمت ضد التيتانوس ؟

رد متعجبا :

– إيه.. نعم ... لكن .....

قالت وهي تخيط آخر غرزة :

– ها. إنك الآن قد أصبحت في حالة لا تضطرك إلى النزول إلى المدينة. إنك ستمكث هنا هذا المساء وغدا ساجد لك تليفونا. أنا أيضا متعجلة مثلك الخروج من هذا الموقف، لكني متعبة جدا حاليا، إذن ما

عليك إلا أن تكون لطيفا وتدخل للنوم .

أجاب وهو يغمض عينيه بهدوء :

– سمعا يا دكتورة .

لم تتمكن "دليلة" من مقاومة رغبتها في المرور بيدها في شعره. تمتم:

– ممتع جدا !

قالت :

– أن يخاط جرحك ؟

فتح عينيه وأجاب :

– لا بل أن أدلل .

اخترق صوته الموسيقي أعماق "دليلة". أمسكت برأسه؛ لكي ترفعه لكنه قبض على معصميها ث فقالت :

– وجب... وجب أن أنهض لكي أعد لك سريرا .

استطرد بينما كانت "دليلة" تمر بأصابعها من جديد – لا إراديا– في شعره:

– إننا على ما يرام هنا .

قالت بنبرة جادة :

– دعني أنهض !

تنهد "لوك" واستند إلى قائمة المائدة .

توجهت "دليلة" إلى الحجرة ولما عادت منها كان قد أغلق عينيه إلى النصف من شدة التعب .

قالت "دليلة" :

– هيا لقد أعددت لك سريرا مريحا .

نهض، تبعها إلى الحجرة ثم ألقى بنفسه بشدة على السرير .

قالت :

– هل تشعر بتحسن ؟

تمتم قبل أن يستغرق في النوم :

– نعم .

خلعت له ملابسه الخارجية ولفته في الأغطية، وضعت حاجاته على المقعد وخرجت وبيدها ستراته؛ لكي تنظفها له .غمرتها بالماء، ثم اتجهت إلى الثلاجة وتناولت منها تفاحة، وإناء لبن الماعز وزبد الفول السوداني، أدارت الراديو وجلست أمام المائدة للقراءة .

كان هذا واجبها اليومي المفروض عليها؛ لكن اليوم يوجد رجل في سريرها وطائرة في المرعى الخاص بها .

تناولت ملعقة زبد كبيرة ثم أخذت تتطلع إلى الأحداث المقبلة. قريبا سوف تحتاج الخراف إلى عناية شبه مستمرة، دائمة لتستمر لأيام شاقة وليال ساهرة. هل كانت ستواجه كل هذا بمفردها ؟

كانت في العام الماضي قد وجدت صعوبة في القيام بعملها هذا... وكان عدد الحيوانات قد وصل إلى النصف.

جلست "دليلة" تفكر في هذه المسألة. إنها لم تتمكن من إجادة مهمتها هذه، سيكرر لها والدها حينئذ أنه كثيرا ما نبهها إلى ذلك، و"أموس" سيستولي على الأراضي وعلى مصدر رزقها الثمين.

التفتت بعد قليل تجاه النافذة– عندما سمعت صوتا– فلمحت سيارة شرطة تتوقف؛ لكي يخرج منها رجل أشقر في زيه الرسمي.

قالت "دليلة" :

– ادخل يا "روي" .

فقال :

– مساء الخير يا "دليلة". خذي الحذر؛ إن حذائي موحل. إنك طبعا تعلمين .

قالت :

– لا يهم يا "روي". تعال لتناول قدح قهوة. هل مازال الثلج يتساقط بنفس القدر ؟

دار حول المنزل ورفع غطاء رأسه قبل أن يدخل ثم قال :

– أنا لا أستطيع البقاء طويلا؛ لان البحث جار عن طائرة مفقودة من بيان "ماموث"، والآن إني آت من عند "أموس" الذي أخبرني بانه سمع طائرة تحلق على ارتفاع منخفض..

قالت وهي تشير له بملعقتها الصغيرة إلى الحجرة :

– الطائرة التي تتكلم عنها في المرعى والطيار هنا .

قال متسائلا :

– جريح ؟

أجابت :

– نعم ولكن الجرح ليس خطيرا. بالضبط في الجمجمة. لقد قمت بخياطة الجرح لكنه كان بالرغم من ذلك مهزوزا؛ لذلك فضلت ألا أنقله في هذا الطقس الرديء .

استطرد وهو يفتح باب الحجرة بهدوء :

– متى يا "دليلة" ستعملين على الحصول على خط تليفوني ؟

ثم أدخل رأسه في الحجرة للحظة وأعاد إغلاقها، وبعد أن اطمأن قال لها :

– مع كل في إمكاني الآن قبول دعوتك. ساعطي رسالة بالراديو واعود في الحال...

في الحال وضعت "دليلة" الماء؛ لكي يغلي، وأخرجت سكرا وقدحين. وما هي إلا لحظات وقد كانا وجها لوجه يحتسيان القهوة الساخنة .

سالته "دليلة" :

– من هذا الطيار ؟

أجاب "روي" :

– "تيرمودين" الشركة التي تقوم بعمل مجسات هندسية عند بحيرات "ماموث"، على ما أعتقد أنه مؤسس الشركة، كبير المهندسين والرئيس. إنه يدعى... (أخرج "روي" ورقة من جيبه)..

– "ماك جريجور"، "لوك ماك جريجور"... إنه شخص مفكر، وكم

انه يبدو مستريحا في سريرك... "دليلة". لم تستغرق أكثر من نصف دقيقة لكي تاتي بالإجابة :

– إنك مثل "مارا– جان". لقد مللت سماع أن هذا العمل شاق بالنسبة لي وأنه يلزمني رجل يعاونني ويبقى إلى جانبي !

قال "روي" :

– لا تخطئي فهمي يا "دليلة"، ليس هذا ما كنت أقصد قوله. إن المرأة محتاجة إلى الرجل بنفس القدر الذي يحتاج هو أيضا إليها. وهو امر طبيعي! انظري على سبيل المثال، "مارا – جان" وأنا: إنك لا تستطيعين القول باني امنعها من أن تحيا حسبما تشاء.

هكذا ختم "روي" حديثه معها. قالت :

– ولكن... إنكما تمثلان استثناء القاعدة؛ لأن الرجل الذي سيهتم بي سوف يرغب إما في اصطحابي بعيدا عن هنا، وإما أن يضع يده على أرضي، ولا يمكنني التفكير في هاتين الحالتين. إن هذه الأرض هي كل ما امتلك. كم تعبت إلى أن وجدت الاستقرار فيها. كما أن خرافي تشكل لي متاعب بل وتخلق لي أحيانا مشاكل كل يوم، أتعلم كيف أقوم بحلبها. لن أتحرك إذن من هنا .

قال "روي" بمودة مبديا اتفاقه معها في الرأي :

– أعلم ذلك. لكن صغار الخراف ستشب. وأنت في احتياج إلى معونة هذا العام. أليس كذلك ؟

أجابت قبل أن تصب لنفسها قدح قهوة آخر :

– لا. لأنك تعلم أني لا أستطيع تحمل مثل هذه النفقات .

فقال:

– لقد كان "أموس ستريكر" قد أعلمني أنه قدم لك أحد رجاله وأنك رفضت .

ردت :

– "مارا – جان" وأنت تعلم تماما إلى أي شيء يهدف .

سالها بلهجة رقيقة :

– كيف يحدث أن تبدو شابة في جمالك ورقتك بمثل هذه الوحشية؟

نهضت "دليلة" ببطء وتمطت ثم قالت :

– إني متعبة الآن يا "روي". عد إلى منزلك وسوف نعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى.

الفصل الثالث

عندما خرجت "دليلة" في الفجر للعناية بخرافها كان "لوك ماك جريجور" – رئيس ومؤسس "تير مودين" – مازال نائما في سرير "دليلة".

ثم بعد أن قامت بأعمال عديدة عادت إلى المنزل؛ لكي تعد طعام الإفطار، وتتلقى أخبار مريضها؛ إذ كانت قد بدأت تقلق لحالته، وعندما دخلت إلى الحجرة رأت في الحال أنه كان قد تحرك طوال الليل، تقدمت في خجل وقالت :

– يا سيد "ماك جريجور" ؟

لم تحصل على رد. ترى هل تحسنت حالته؟ لقد بدأت "دليلة" تندم على دعوتها إياه، ولما لم تقدر على الاستمرار في الشك والقلق مالت عليه ولمست كتفه ثم قالت :

– يا سيد "ماك جريجور" استيقظ.

أجابها بزمجرة ثم أخرج ذراعه من تحت الملاءات؛ لكي يحيط بعنقها؛ فقدت توازنها فوقعت على السرير. حينئذ استعان "لوك" بذراعه الأخرى لكي يقيمها متمتما بأصوات غير مفهومة. لم تنزعج "دليلة" لحركته هذه معللة ذلك بأنه كان مازال نائما، لم يستيقظ بالكامل، وأنه يستجيب لإحساس بشري ليس إلا. حاولت الابتعاد عنه غير أنه ظل ممسكا بعنقها. ربما كان معتادا الاستيقاظ في صحبة لطيفة أو ربما متزوجا. ثم تمتم:

– م م م.. إن وجهك بارد جدا.

قالت:

– يا سيد "جاك جريجور"....

ازداد تعلقا بها... ثم منحها قبلة حانية. وقعت "دليلة" تحت تأثير

سحره، مبتهجة لهذا الحنان الذي كان يبديه. غير أنها ثارت فجأة وقالت :

– لا . ماذا تتخيل يا سيد؟

وإذا به يحاول أن يقبلها ثانية .

هددته بقولها :

– إذا حاولت تكرار هذه الحركات... فساعمل... ساعمل على فك الغرز!

تظاهرت بعد ذلك باللامبالاة التامة، توجهت إلى المطبخ بخطوات مهزوزة؛ لكي تعد طعام الإفطار لكنها كانت مازالت مرتبكة من هذا الرجل ذي السحر المدمر .

قال وهو يلتقي بها :

– كنت أريد أن أقول لك إني آسف لما قد صدر مني... لما حدث.... لكن هذا يعتبر كذبا. إنها الطريقة الوحيدة التي أبدأ بها يومي. حسنا .

أجابته :

– لا داعي للحرج .

قال :

– هذا لطف منك. أين المشكلة؟ سواء أكانت أول تجربة لك أم أنك لا تحبين ذلك... ؟

قاطعته :

– الاثنان معا.. مع المجهولين .

التفت مسرورا ثم أردف :

– لكني لست مجهولا، لقد أنقذت حياتي، قمت بخياطة جرح رأسي، نمت في سريرك... وأحدهم خلع لي سترتي. أكثر من ذلك أنك تعرفين اسمي. لقد سمعتك .

ردت بدهشة :

– لقد سمعتني؟ كنت أظنك نائما !

قهقه "لوك" بدلا من أن يجيب. أسرعت "دليلة" بوضع المائدة وجلست ثم قالت :

– الإفطار جاهز إذا كنت جائعا .

قال بهدوء :

– إنك لا ترغبين في تقبيل مجهول، وأنا لا أحب أن أتناول الطعام مع مجهولة. أخبريني من أنت ؟

كان يرغب في معرفة قصتها، كان يدفعها إلى الكشف عن شخصيتها.

قال لها ضاحكا :

– اسمك من فضلك. إنك تعرفين جيدا اسمي، ومن العدل أن أعرف اسمك .

تمتمت :

– هام ... "دليلة بومنت" .

سألها مندهشا :

– "دليلة.. بومنت" . لكن كيف عرفت اسمي ؟ هل بحثت في جيوبي ؟

أجابت وهي تشير بإصبعها إلى المقعد :

– إن كل حاجاتك هنا. كانت سترتك ملطخة بالدماء فغسلتها .

ثم استطردت وهي تنظر إلى قسمات وجهه المعبرة عن الندم :

– بالنسبة لإدارتك يا سيد "ماك جريجور" ، لقد أتى الشريف إلى هنا مساء أمس، كان يبحث عنك، ولقد أعطاني معلومات عنك: السيد "لوك ماك جريجور" : رئيس ومؤسس "تيرمودين" ، طيار مفقود ....

مر "لوك" بيده في شعره وقد بدا عليه الحرج.

تمتم :

– المعذرة. إني معترف لك بجميلك من أعماقي. لأجل مرعاك،

لأجل أصابعك السحرية، غرز الجراحة، سريرك. كل هذا بالإضافة إلى طعام الإفطار اللذيذ، شكرا أيضا على عينيك الجميلتين اللتين كانتا أول صورة أراها عند استيقاظي.

ثم وقف من خلفها ومر بأصابعه في شعرها الحريري.

سألها وهو يضمه على عنقها:

– كم هو ناعم... ألم تفكري في قصه؟

قالت متأثرة:

– كلا. إن الرجال يفضلون السيدة ذات الشعر الطويل.

رد عليها:

– لكن ليس أنا. إن الشعر القصير يناسبك تماما ويزيد من قيمة نظرتك.

قالت بضيق:

– اسمع. إني واقفة منذ الصباح الباكر، وأشعر بالجوع. سأتناول إفطاري وأعود إلى عملي، ثم أصطحبك إلى المدينة. اتفقنا؟

وبينما هي تصب لنفسها قدحا من الشاي سمعت باب الحمام يغلق؛ شعرت حينئذ وكأنها تخلصت من حمل ثقيل... واستطاعت بالتالي أن تتناول إفطارها في هدوء.

ظهر "لوك" ثانية وأردف:

– برر. أعتقد أنك تتركين الحمام باردا بهذه الصورة لأسباب جيدة.

أجابت مازحة:

– نعم وهي عديدة، إخماد نشاط من يميلون إلى إطالة المدة في الحمام ومتعة رؤيتك بوجنتين حمراوين... إن هذا المنزل قديم ولا يوجد هنا سباكة ولا أعمال كهرباء.

سألها:

– كيف تتصرفين للاستحمام؟

أجابت وهي ترفع ما بقي على المائدة وقبل أن تكنس الحجرة بسرعة:

– أقوم بذلك باقصى سرعة.

أردف وهو يجلس؛ لكي يمسك بإبريق الشاي ووعاء الحليب:

– ما هو برنامجك اليوم؟

أجابت:

– إصلاح السياج؛ لأني فقدت بعض المواشي في العام الماضي بسبب هذه الفتحات...

شرب "لوك" الشاي دفعة واحدة ثم نهض وقال:

– ألا يضايقك أن أحضر معك؟ على كل حال ينبغي أن ألقي نظرة على طائرتي.

ردت عليه:

– كما تشاء.

قال بنبرة لطيفة لا تخلو من الهزء:

– إنك حقا جزء مقدس من امرأة، قوية ومستقلة. إنك تتمتعين بروح الريادة.

التفتت "دليلة" في افتخار قائلة:

– إن أجدادي كانوا من المعسكر الآخر.

تساءل متعجبا:

– حقا؟

أجابت:

– في الحقيقة بعضهم، كانت لي جدة "نافاجو" أصيلة.

قال "لوك":

– أرى ذلك. وهل كانت أسرتك أيضا تهتم بتربية الخراف؟

ردت متسائلة:

– هل تعتقد أنه تقليد؟

قال متجاهلا سؤالها:

– أخبريني. لقد لاحظت عندك أيضا آلة نسيج. هل تقومين بعمل

أغطيتك بنفسك ؟

– بالتأكيد. لقد علمتني... جدتي هذه الحرفة منذ طفولتي .

سألها :

– ووالداك ؟

– لقد توفيت والدتي عندما كنت طفلة صغيرة. ووالدي قاض .

قال بدهشة :

– قاض ! أكاد لا أصدق هذا، قاض !

شعرت "دليلة" بأنهما بدآ في تناول مناقشة موضوع حساس. فقررت تغيير مجرى الحديث في الحال فقالت :

– إن سترتك مازالت مبتلة وليس لدي ما يمكنني أن أعيرك إياه...

أجابها :

– لا تهتمي لذلك. سأجد في الطائرة ما أستطيع ارتداءه، هيا بنا إلى هناك بسرعة.

كانت السماء زرقاء، لكن بالرغم من أشعة الشمس التي كانت تغطي هذه المنطقة الجبلية كانت هناك سحب بيضاء تدفعها نسمة باردة .

أخذا بعض الأدوات ولحقا معا بالمرعى. كانت كل آثار ثلوج الليلة الماضية قد اختفت. ثم افترقا عند البوابة: اتجه "لوك" نحو طائرته بينما "دليلة" كانت تستمر في طريقها وهي تراقبه من حين لآخر. دار حول مركبته ثم اختفى في مكان القيادة .

أدارت "دليلة" رأسها وأسرعت الخطى. جلس "لوك" في مقعده وأشعل سيجارة ثم تأهب لاختبار الدوائر، وبتحريك بعض الأجهزة تمكن من الوقوف على سبب الأعطال: وكانت عبارة عن مسألة عطل في الكهرباء بالإضافة إلى قصور في جهاز الهبوط. وهي بالإجماع أعطال لا تحتاج إلى وقت طويل لإصلاحها. إنما في الواقع كانت المشكلة تكمن في الإقلاع؛ لأنه ليس مكان هبوط ولا إقلاع للطائرات. تناول جهاز الراديو وحاول الاتصال بمطار "ماموث" .

أسرع "بيتي" في الرد عليه . قال :

– "ماك" ! كيف حالك؟ وأين أنت ؟

أجاب "لوك" :

– أنا بخير يا "بيتي" . إني محظوظ. أستطيع أن أعترف بذلك !

كرر "بيتي" قلقا :

– أخبرني أين أنت؟ لقد تلقينا رسالة من محطة إرسال في الجبل تعلمنا بأنك اضطررت إلى الهبوط في مكان أمين، وأنك سليم. لماذا لم تتصل حتى الآن ؟

أجاب "لوك" :

– لأني كنت في مكان يفتقر إلى التليفون عدا الراديو الذي أستخدمه، وكان وقتئذ بالطائرة.

سأله "بيتي" منزعجا :

– إنك تبالغ. هل قضيت ليلتك في الطائرة ؟

أجابه "لوك" ضاحكا :

– اسمعني، إنها قصة طويلة سأكلمك عنها فيما بعد. المهم هل من جديد ؟

أجاب "بيتي" :

– عدة أخبار منها الجيد والسيئ: ليس هناك أي تحسين فيما يختص بعمليات الحفر، لكننا قد حصلنا على تاريخ جديد للاجتماع. ١٧ نيسان (إبريل) سيكون لنا نصيب في حالة تمكننا من تغيير المحكمة أو على الأقل استبدال القاضي بغيره، وإذا كان مرة أخرى "بومنت" فسيكون من الأفضل أن نتخلى ...

أجابه "لوك" :

– وهذا أيضا يلزم النظر فيه، قدم لي خدمة يا "بيتي" .

رد بيتي" :

– خدمة أخرى! أرجو ألا تكون قد أصبت خروفا، إن هذا غير مفيد

في تأميناتنا .

قال "لوك" :

– انس الخراف يا صديقي واسع إلى معرفة ما إذا كان للقاضي "بومنت" ابنة .

ساله "بيتي" مندهشا :

– نعم ... ماذا ؟

قال "لوك" :

– ابنة !

رد "بيتي" متسائلا :

– وما الذي يجب علي القيام به بعد الحصول على الإجابة يا "ماك" ؟

أجاب "لوك" :

– امكث في مكانك وساتصل بك بعد قليل .

قال "بيتي" :

– اتفقنا وبالمناسبة : "جلينا" تخبرك بانها محتفظة لك بزجاجة عصير فاخر، و"جون" أيضا قد أحضر لك الحمالة .

قال "لوك" :

– حسنا . يا حبيبي يا "جون" . إلى اللقاء يا "بيتي" .

وضع "لوك" السماعة، وأخذ لعدة لحظات يتطلع إلى هذه الإنسانة الرائعة ذات الشعر الكستنائي وهي تعمل على إصلاح السور من الجانب الآخر للمرعى .

*****

كانت "دليلة" واقفة على سطح خشبي لمبنى كبير ذي حوائط متينة، كانت تحاول وضع مشبك تحت ماسورة المياه وهي ممسكة بالسلم بيد واحدة .كانت تفكر وقتئذ في الأحداث الأخيرة. هل كان غضبا الذي كانت تشعر به تجاه "لوك" أم كان خوفا؟ خوفا من أن تقع بين ذراعيه ذات يوم.

ربما يكون ذلك ؟

سالها "لوك" :

– ماذا تعملين ؟

انتفضت "دليلة" عند سماع الصوت وامسكت بالماسورة لحفظ توازنها .

– يا إلهي!

هكذا تمتمت عندما استردت أنفاسها. ثم قذفته بنظرة شرسة قائلة :

– الا تعلم انه لا ينبغي إزعاج شخص معلق على سلم ؟

أجاب "لوك" :

– آسف. لم يكن في نيتي إزعاجك. لابد أنك كنت شاردة حتى إنك لم تسمعي صوت خطواتي عند وصولي. فيم كنت تفكرين ؟

أجابت :

– في وسيلة توصيل الكهرباء إلى هذه الحظيرة .

ثم نزلت "دليلة" تلتقي به .

قال :

– ربما أكون فضوليا بعض الشيء، لماذا تسعين إلى توصيل التيار الكهربائي إلى هذه الحظيرة في الوقت الذي ليس لديك سخان في الحمام ؟

أجابت :

– لأنه ليس من السهل الإمساك بمصباح بيد ومعاونة شاة متعبة باليد الأخرى؛ بذلك أيضا سيكون في استطاعتي استخدام سخان لتدفئة الحيوانات الصغيرة فور ولادتها في الليالي الشديدة البرودة. خاصة إذا كانت ضعيفة وتتعرض للإصابة بالبرد وربما أكثر من ذلك... الموت .

استطرد "لوك" :

– كنت أعتقد أن هذا النوع من الحيوانات. أي الخراف محمية بالطبيعة وأنت، ألم تصابي بالبرد أبدا ؟

لم تهتم "دليلة" بالجزء الثاني من السؤال، وأكملت كلامها :

– كما أني أتمنى وضع مروحة؛ لأنك لا تتصور كيف أن الخروف– بسبب الصوف الذي يكسوه– يتألم من حرارة الجو الشديدة! إن جو الحظيرة أحيانا يصبح حارا مثل حمام ساونا . قال :

– إنك تولين خرافك عناية أكثر مما تعطين لنفسك من اهتمام، هل يمكنني النظر في الداخل ؟

أجابت :

– بالتأكيد .

تساءلت عما كان من الممكن أن يهمه إلى هذا الحد .

فتحت الباب ودعته إلى اتباعها، سار إلى جانبها محاولا إحاطتها بذراعه، أبعدته عنها وتقدمته، كان يتقدم في الممر الأوسط ويداه في جيبيه .

كانت "دليلة" فخورا بإقامتها هذه. بالتأكيد لا يوجد ماء ولا كهرباء لكن كان هذا كافيا حاليا. ترى ما رأيه فيها ؟

أردف "لوك" :

– عشرون حظيرة. كيف تتصرفين مع مائة رأس؟ وكيف تفكرين في توصيل التيار إلى هنا ؟

أجابت :

– ببساطة بكابل يأتي من المنزل لكني لا أدري حتى الآن كيف. أمامي أسبوع للتفكير في ذلك .

تعمق "لوك" في الممر وفتح بابا يؤدي إلى الريف. كانت الرؤية من هنا تضم منظرا ريفيا بديعا من الجبال، البحيرات والمراعي .

التفت نحو "دليلة" وقال :

– يخيل لي أن البدينات أفضل للإنتاج .

قالت "دليلة" :

– ليس بالأمر اللازم، إن المظاهر كثيرا ما تكون خادعة. البعض نحيفة

بعض الشيء وتلد صغارا عديدة وأخرى بدينة ليس إلا .

سألها :

– كيف تعلمين الوقت المناسب للإخصاب؟ أعتقد أن الحيوانات لا تخبرك بذلك .

أجابت وقد أحست بأن المناقشة بدأت تتخذ شكلا حرجا :

– إني أمسك بجريدة بالتأكيد. لكن أفضل وسيلة هي مراقبة تطور الثدي .

أجاب "لوك" :

– أرى جيدا، لكن كيف تقومين بهذه العملية؟

ابتلعت "دليلة" لعابها وتنفست قدرا من الهواء ثم قالت :

– وجب أن أقوم بذلك الآن... لكنك كنت تريد إيجاد تليفون ...

قال "لوك" :

– لست متعجلا؛ لأني لا أرغب في فقد فرصة مثل هذه .

سألته وهي ترجو أن تحول مجرى الحديث :

– إنك لم تتناول شيئا وقت الإفطار، ألست جائعا ؟

أجاب :

– لقد أعددت لنفسي ساندوتشا أثناء ما كنت تصلحين السياج. لم أشأ إزعاجك وقتئذ، فتصرفت بباقي الدجاج.

لم تتمكن "دليلة" من إخفاء علامة عدم استحسان لما قام به؛ إن هذا الجزء من الدجاج كان يكفي لوجبتين .

خرجت من الحظيرة، أطلقت صفيرا إلى "ليدي" التي ظهرت في الحال. ثم قامتا بالعمل معا. كان عليهما تجميع المواشي المتناثرة في أنحاء المراعي. بعد لحظات كانت عشرون شاة قد تجمعت في مكان مغلق من الحظيرة، غير أن إحداها كانت عاصية فاضطرت "دليلة" لاستخدام القوة معها .

سألها "لوك" :

– هل في إمكاني مساعدتك ؟

أجابت "دليلة" وهي تضحك من قلبها :

– أرجوك. أمسك لي هذه التي لها الرقم "٩٠٧" مطبوعا على فخذها....

شبكت "دليلة" ذراعيها ووقفت تراقب مسرورة رئيس شركة "تير مودين" وهو يتصرف. تقدم نحو الشاة وأمسك بعنقها. نصحته بعد قليل فقالت له :

– دع رأسها في الهواء .

أخذ "لوك" يسب ثم قال :

– إن هذا الحيوان الملعون قد داس على قدمي، أنا لا أصدق أنك تقومين بمثل هذا العمل الشاق بمفردك!

ألقى "لوك" إلى "دليلة" نظرة عتاب وهو يدلك قدمه، أما هي فتقدمت ببطء وثبات نحو الشاة رقم "٩٠٧" و دفعتها إلى الحائط ثم انحنت؛ لكي تتفحص ثديها .

نهضت بعد ذلك وهي تبتسم إلى "لوك" الذي كان لا يصدق عينيه.

قالت "دليلة" :

– إنها ليست مسألة قوة، إن هذا الحيوان أقوى من أي رجل. المهم هو الاحتفاظ برأسه إلى أعلى: هذا يمنعه من الرؤية وبالتالي يقوم بمهمته كما عمل لتوه .

قال "لوك" :

– أنت وخرافك الملاعين... ومع ذلك أنا لا أعتقد أن الذين يقومون بتربية المواشي الحقيقيين يعملون مثلك .

ردت عليه :

– أنا مربية مواشي أصيلة يا سيد "ماك" ! غاية ما في الأمر أني مفتقرة إلى الوسائل التي تساعدني على إنفاق مبالغ طائلة لإعداد أماكن حديثة للتربية !

كانت "دليلة" تسحقه بنظراتها. أبعدته بأدب وهي تعتذر، فتحت باب الحظيرة وأطلقت الشاة في المرعى .

لقد علمت الآن أنه– بالرغم من سحره– لا يختلف عن سائر الرجال؛ إذ إنهم عندما يلتقون بامرأة ليست رقيقة ولا ضعيفة والتي تفوق معلوماتها وخبرتها ما لهم من معلومات وخبرة يأخذهم الغرور وهم عادة لا يحبون هذا الوضع .

سألها "لوك" وقد فوجئ :

– انتهت العملية بهذه السرعة ؟

أجابت :

– سأهتم بذلك غدا.. أما الآن فيمكننا العثور على تليفون .

أثناء ما كانا يخترقان البستان للعودة إلى المنزل سألها "لوك" :

– لماذا اخترت هذا العمل ؟

التفتت إليه في تحد قائلة :

– ولماذا تقوم بعملك مهما كلفك الأمر ؟

أجاب :

– كان والدي شخصا مفرطا، مولودا في "أو كلاهوما"، لقد حصلت على شهادات في الجيولوجيا والهندسة. فتحمست منذ ذلك الحين إلى البحث عن الطاقة، إن اختياري المهني متعلق بالفكر أما عملك فبعيد عنه. ربما يكون لديك إثبات لخلاف ذلك ؟

قالت :

– ربما أكون محتاجة إلى إثبات أنه في إمكاني تحقيق حلم أيامي، إنك تعلم أن تربية المواشي ترجع إلى فجر الحضارة... ولا تعتبر أقل قدرا من القيام بحفريات في كوكيك! هل هذه الإجابة ترضيك ؟

أثناء كلماتها الأخيرة هذه كانت "دليلة" قد عجزت عن السيطرة على ثورتها، الأمر الذي سر له "لوك" بوضوح :

أجابها بهدوء :

– جزئيا! لكن لماذا الخراف بالذات؟ ولماذا بمفردك ؟

لم تتمكن من التملص هذه المرة من المهاجمة فقالت :

– إني بمفردي؛ لأني لا أرغب في أي معونة. بالإضافة إلى أنني لا أستطيع الحصول عليها. ولقد اخترت الخراف بالذات؛ لأنها لا تتطلب جهدا كبيرا، إننا نقوم بخدمتها – "ليدي" وأنا – على أكمل وجه .

ثم ألقى "لوك" نظرة إلى الحظيرة التي كانت تضم ثلاثة جداء، وأشار بإصبعه إلى أكبرها حجما: "سوفولك" بيج" ذو أقدام قوية، وكأنه يرسو على الأرض، سألها "لوك" :

– وهذا أيضا هل تخضعينه ؟

أجابت بجفاف :

– لا. إنها ذكور وكسائر الذكور فإنها تتصرف بحسب رغبتها!

دارت "دليلة" على عقبيها وتركت "لوك" مكانه وكانت على طريق العودة تسترجع الأحداث الأخيرة .

لقد قام هذا الرجل– في أقل من أربع وعشرين ساعة– بالعمل على إغرائها بطريقة لم تكن "دليلة" مستعدة لها. كان ينبغي أن تطمئن؛ لأنه سيبتعد عنها قريبا.

وعندما كانت "دليلة" تقوم ببعض الأعمال المنزلية اتصل "لوك" بـ"بيتي" الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، قال "بيتي" :

– "ماك" ! إني سعيد لتلقي معلومات عنك .

سأله "لوك" وهو يشعل سيجارا :

– ماذا من جديد ؟

أجاب "بيتي" :

– "بومنت" له ابنة في الخامسة والعشرين من عمرها ذات شعر كستنائي وعينين زرقاوين، طولها متر وثمانية وستون سنتيمترا، ووزنها خمسون كيلو جراما ما قولك في هذه المعلومات ؟

أجاب "لوك" :

– فتاة جميلة بالتأكيد . وماذا أيضا بخلاف ذلك ؟

أجاب "بيتي" :

– حاصلة على الثانوية العامة وعلى شهادة من "U.C" . عذراء .

قال "لوك" :

– لن تستنتج أبدا يا "بيتي" على أرض من قد اضطررت إلى الهبوط.

قال "بيتي" :

– إني مصغ إليك... أرض من ؟

قال "لوك" :

– استنتج .

قال "بيتي" :

– إنك تبالغ .

قال "لوك" :

– لا، بالمرة يا صديقي .

قال "بيتي" متسائلا :

– "دليلة بومنت" مربية الخراف ؟

أجاب "لوك" :

– بالضبط !

سأله "بيتي" :

– كيف يحدث ذلك ؟

أجاب "لوك" :

– إن هذه الأراضي ملكها، لقد ورثتها عن أمها .

هل كنت تعلم أن زوجة "بومنت" من أصل هندي؟ لقد كانت "نافاجو" أصيلة .

قال "بيتي" :

– تحقق من ذلك يا "ماك" ؛ لأن هذا قد يفيدنا ...

رد "لوك" عليه :

– لقد فكرت في ذلك؛ إذ إنه في إمكاننا أن نثنيه بمثل هذه المعلومة لكن قد لا يكون ذلك كافيا .

قال "بيتي" :

– بالإضافة إلى أنك ربما لا تتمكن من الزواج بهذه الفتاة قبل الميعاد المحدد: السابع عشر من نيسان (إبريل). لاحظ أني ربما أكون قد وجدتك جاري العمل... ربما...

قاطعه "لوك" قائلا :

– دعك من هذه الفكرة يا "بيتي" ، إن هذه الفتاة لا تقبل الرجال.

قال "بيتي" :

– اتفقنا. سوف نتصرف بدونها. متى ستعود ؟

شد "لوك" سيجاره ثم أخذ يفكر في هذا الأمر ثم سأله:

– كيف الحال هناك ؟

أجاب "بيتي" :

– إنها مدينة خيالية مع التحذير بالقيام بعمليات الحفر فيها، "إنجي" تؤكد استمرار الراديو وهي تعد أظافرها، إني أبقى هنا لحماية المظاهر.

لماذا ؟

أجابه "لوك" :

– كنت أفكر في إطالة مدة غيابي .

قال "بيتي" :

– "ماك" ، إني واثق أن هناك فكرة في رأسك .

رد "لوك" :

– ولنقل إن هذه الفكرة قد تستطيع إبقائي هنا فترة أخرى. ربما أتمكن من الحصول على معلومات ثمينة .

صمت "بيتي" قليلا قبل أن يعلن تأييده لفكرة صديقه ثم قال :

– حسنا جدا يا "ماك" . أتمنى لك حظا سعيدا. انتبه واعتن بنفسك. لا تنس أن هذه الفتاة من أصل هندي، من الممكن أن تلحق بك أي

أذى، خذ الحذر! هانا أعلنك مرة أخرى ..

مر "لوك" بيده في شعره.

أجابه :

– لقد وجدت فرصة قبل الآن، تذكر ما حدث لـ"شمشون" .

*****

كانت "دليلة" تتذوق بعض الحبوب عندما دخل "لوك" حاملا حقيبة سفر صغيرة وبذلة ملفوفة في بلاستيك. دخل إلى الحمام .

سألها بأدب :

– هل أستطيع ؟

أجابته :

– بكل ارتياح .

كانت تستعد للعودة إلى حجرتها بعد أن تنتهي من تنظيف بعض الأواني في المطبخ، وإذا بها تسمع صوت سيارة تقترب، نظرت من النافذة. "زيت" (هكذا قالت لنفسها قبل أن تذهب لتفتح الباب) .

قالت في نفاق !

– صباح الخير يا "أموس" ، كم أني مسرورة لرؤيتك !

كانت لـ"أموس" – وهو مزارع من المدرسة القديمة– مشية خاصة لأن ساقيه كانتا مقوستين بسبب ركوب الخيل لفترة طويلة في فترة شبابه .

كثيرا ما قدم "أموس" مبالغ لا بأس بها إلى "دليلة" في سبيل الحصول على جزء من أراضيها تماما عند مكان مجرى الماء، ولما رأى أن عروضه قد رفضت بإصرار لجأ إلى المحكمة مدعيا أن كل هذا الماء بالنسبة لهذا العدد القليل من الحيوانات يعتبر إسرافا وكان الفشل نصيب هذه المحاولة أيضا. إذن، في هذه المرة قرر أن يتخذ "دليلة" ذاتها... ببساطة .

بادرها بقوله :

– "دليلة" أيتها الملكة الصغيرة، إنك تزدادين جمالا في كل مرة

أتقابل فيها معك.

دخل إلى المطبخ وجلس في هدوء .

أجابته بجفاف :

– شكرا .

قال "أموس" :

– لقد نزلت إلى المدينة هذا الصباح وسمعتهم يتكلمون عن طائرة قد هبطت على أراضيك، لقد لمحتها عند وصولي. لقد تسببت في خسائر.. إذن قلت لنفسي إن هذا العمل يعد عبئا ثقيلا عليك أيتها الملكة الصغيرة، لكن بالنسبة لي ...

قاطعته فقالت :

– "أموس" . إن هذه الطائرة ليست مشكلتي، على المالك أن يرفعها من على أرضي .

قال :

– لا تثقي بذلك ...

قالت "دليلة" :

– لا تقلق من أجلي يا "أموس" .

قال "أموس" :

– لكن أولئك الأشخاص لهم تأمينات ضخمة في إمكانهم إذن إعلان أن الطائرة أصبحت غير صالحة للاستعمال، يتقاضون المبلغ التأميني ويتركون الطائرة هنا.

أجابته في هدوء :

– حينئذ في إمكاني استخدامها كمعلف للحيوانات. اسمع يا "أموس" ...

وكان "أموس" قد نهض لتوه واضعا كفه الضخمة على كتف "دليلة" .

– "أموس" ....

– لا تنزعجي أيتها الملكة الصغيرة، في إمكاني إرسال رجالي لك من الغد .

أردفت "دليلة" بثبات :

– شكرا يا "أموس" واعلم أنه "لا" .

– يا إلهي! إني لم أر في حياتي فتاة بمثل صلابتك !

– ربما يكون كذلك لكن هكذا ينبغي أن أكون ..

هز "أموس" رأسه إشارة إلى اليأس وفجأة قدم لعبته فقال لها :

– لماذا لا تنزعين هذه الفكرة الغبية، فكرة تربية الخراف وتتزوجينني؟ إن المكان محدود هنا وبالتالي فإن المشروع محدود الدخل، أما أنا فعندي المكان اللازم وسيكون لك كل مشتهاك ربما لا تتوسمين في ذلك، لكني طيب القلب، تزوجيني وستكونين أسعد زوجة بدلا من أن تشغلي بالك بمشاكل الخراف، صدقيني ساهبك كل ما تطلبين وكل ما تريدين .

قالت "دليلة" من بين أسنانها :

– كل ما أريد يا "أموس" هو الاهتمام بخرافي والحياة في سلام!

أجابها :

– فكري جيدا أيتها الملكة الصغيرة. في إمكاننا أيضا الاحتفاظ بخرافك إذا شئت ذلك .

– قلت لك : لا .

– عبث. مع أني كنت متوقعا أنه سيكون في إمكاني الحصول عليك وهذا منذ فترة طويلة .

لأول مرة، طلبت "دليلة" من الله أن يدفع رئيس شركة "تيرمودين" إلى الحضور والتدخل في هذه المناقشة التي بدأت تثيرها جدا .

لابد أنه يسمع حديثهما من خلال باب الحمام الرقيق، كانت "دليلة" تشعر بالخجل إزاء هذا الموقف السخيف .

اقترب منها "أموس" أكثر فأكثر، فكانت تبتعد عنه خشية أن يقبلها.

جاء صوت "لوك" الهادئ من خلفهما قائلا :

– ما الذي يحدث ؟

الفصل الرابع

رفع "أموس" يديه القويتين من على كتفي "دليلة" والتفت فجأة لكي يواجه شخصا غريبا خارجا من الحمام .

قالت "دليلة" وقد علت الحمرة وجهها :

– "لوك" .

– مشاكل، يا عزيزتي ؟

– عزيزتي ؟!

وقف "لوك" يتطلع إلى "أموس" في تحد وهذا الأخير لم يتراجع. أما "دليلة"، فكانت واقفة مشبكة ذراعيها غير قادرة على النطق بأقل كلمة

تقدم "لوك" مبتسما لها :

– هل تسمحين بمعاونتي في تركيب ياقتي يا حبي ؟

– حبي ؟!

كان يرتدي بنطلونا أسود و"چاكيت" من القطن وقميصا أبيض من الحرير، رفع رأسه لكي يعطي مزيدا من الارتياح لعنقه وابتسم لها برقة.

وإذ كانت يداها ترتجفان عجزت "دليلة" عن التصرف.

سمعت "أموس" من خلفها يسأل :

– هيه، من هذا ؟

أجاب هذا الشخص :

– المعذرة. "لوك ماك جريجور" ... إن الطائرة التي في الخارج طائرتي ... لا أدري كيف كنت سأتصرف في حالة عدم عثوري على هذا المرعى.

ثم مد يده إلى "أموس" الذي شد عليها مكرها .

تمتم "أموس" :

– لقد فوجئت لبقائك هنا حتى الآن .

بعد أن أتمت "دليلة" وضع ياقة "لوك"، تراجعت خطوة. ونالت منه قبلة رقيقة بمثابة شكر على ما قامت به.

قال لها :

– شكرا يا عزيزتي. سأكون جاهزا خلال دقيقة وسأجمع حاجاتي الموجودة بالحجرة .

غمز لها بعينه؛ تجمد الدم في عروقها ثم اختفى في الحجرة .

كان واضحا تماما أن "دليلة" قد لاقت حرجا شديدا لهذا الموقف.

استطرد عندما ظهر ثانية على عتبة الباب :

– إني سعيد لمقابلتك غير أني لا أذكر اسمك .

أجابت "دليلة" :

– "أموس ستريكر"، جاري .

– آه، السيد "ستريكر" .. لقد سعدت بمعرفتك. إن لك جارة رهيبة !

ثم دخل إلى الحجرة وأغلق الباب .

التفتت "دليلة" بهدوء نحو "أموس"؛ لكي ترى رد الفعل عنده فوجدت أنه يبدو غير مصدق ما يرى .

قال وهو يسيطر على غضبه :

– "دليلة"، لا تخبريني أن هذا الشخص قد قضى ليلته معك ...

أجابته وقد سرت لهذه الفرصة الجميلة التي تمكنها من إصابته بالإحباط :

– هيه، نعم .

– وفي سريرك ؟

– بالضبط .

سألها "أموس" ثائرا :

– غريب ؟

كانت "دليلة" تواجه صعوبة أكثر فأكثر في إخفاء رغبتها في الضحك

أمام تضخم هذا الموقف .

استطرد "أموس" بهدوء :

– "دليلة" . كثيرا ما قلت لنفسي إن لك طابعك لكن مع قليل من السلطة قد تكونين زوجة ممتازة. لكنني لم افكر أبدا في أنك من الممكن أن تتصرفي مثل ... مثل ....!

ومن بعد، أشار إليها "أموس" وخرج بسرعة دون انتظار رد منها...

انطلقت "دليلة" في الضحك بعد أن أغلق الباب بشدة .

ظهر "لوك" أمسك بكتفيها وقال :

– "دليلة" ...

قالت وهي تقهقه :

– أوه! "لوك" . إني... لا أصدق أنك كفيل بالقيام بما قمت به الآن! مسكين يا "أموس" .

ثم خبأت وجهها بين يديها وهي تضحك في مزيج من التسلية والعصبية في آن واحد .

– ماذا قال لك ؟

– يا إلهي! إني ...

رفعت رأسها وتفرست في عيني "لوك" .

قال :

– إنه حقا مهذب، جارك هذا .

"يالها من أناقة! ياله من مظهر! "هكذا فكرت "دليلة" .

كان "لوك" قد عقد حول ياقة قميصه رباط عنق فاخرا أسود عمل على إبراز لون شعره .

كان منظره جميلا إلى درجة جعلتها لا ترغب في إبعاد نظرها عنه، فآثرت تحويل عينيها عنه؛ حتى لا تقع في سحره القوي ثم ناداها:

– "دليلة" .

أجابته :

– سأذهب لتبديل ملابسي، إني أعلم أنك تريد مغادرة هذا المكان بأسرع ما يمكن .

أشار إليها حتى تبقى بالقرب منه.

سألته بجفاف :

– ما الأمر ؟

– من فضلك استمعي إلي دقيقة واحدة، موافقة ؟

– عم تريد أن تكلمني ؟

– لدي اقتراح أقدمه لك. هل أنت في احتياج إلى عامل لفترة إنجاب الحملان؟ كل ما أطلبه هو السكن والغذاء .

وقفت "دليلة" دهشة للحظة ثم انتبهت بأن قالت لنفسها: إنه لابد أن تكون إحدى مداعباته، فالتزمت اليقظة .

أجابت وهي تحك رأسها :

– هيه! قد يسرني هذا بقدر ما أكون سعيدة عند كسب يانصيب أو أن أكون شقراء طولها متر وخمسة وسبعون سنتيمترا .

التفت إليها وأردف :

– إني جاد في قولي هذا .

استطردت وكانت قد بلغت أقصى درجات الغضب :

– إنك جاد! هل عملت على طرد "أموس" لكي تحل محله؟

– أنا لا أرى ما يدعو إلى غضبك ولا أدري عما تتكلمين .

– غاضبة؟ أنا؟ أنا لا أثور أبدا يا سيد "ماك جريجور" بالعكس إني فضولية، لقد حاول الرجل الذي انصرف منذ قليل– بشتى الطرق– خلال عامين وضع يده على هذه المزرعة. وبالتحديد بعرضه علي مساعدة مجانية غير أن ثمنها مرتفع جدا، والآن جاء دورك. ماذا تريد مني يا سيد؟ هل ستخبرني بأنه يوجد بترول تحت أرضي؟ وربما نبع ماء ساخن ؟

أجابها "لوك" :

– احتمال ظريف، شيق، وجب إذن أن أتحقق ...

قالت "دليلة" :

– وجب أن تضعني فوق كل اعتبار، إني لست في احتياج إلى مساعدتك ولا إلى مساعدة "أموس" .

أجاب وهو يبتسم لها في مودة :

– لا أعتقد أننا كنا متفاهمين، أنا لا أساوم، إني أقدم لك هدية .

أما "دليلة" فقد اعترتها رغبة قوية في الضحك أمام إرادة الفارس الجميل الواضحة، جذبت إليها مقعدا وجلست عليه. قالت :

– انتظر: إنك تقترح عليّ أن تعمل لأجلي ومجانا؟ .

– بالضبط !

– وأنك لا تمزح ؟

– لا. أبدا. المأكل والمسكن فقط .

أردفت :

– لابد أن يكون أحدنا قد فقد عقله! إني آسفة، لكني أشك في أن تكون مؤهلا لهذا النوع من العمل.

قال مسرورا :

– حسنا. ما الذي يدفعك إلى هذه الكلمات يا عزيزتي ؟

"إنك جميل جدا، فوق الحدود، بشرتك رقيقة جدا، كما أنك تربكني" . هكذا كادت "دليلة" تقول له :

– هلم نعود إلى الجدية. انظر إلى نفسك يا سيادة المهندس. إن العناية بالخراف عمل شاق وقذر .

أجاب "لوك" وقد لمعت عيناه :

– لا تنخدعي بالمظاهر، لقد عملت في حقول البترول في شبابي.

قالت :

– كلمني عن السنوات الأخيرة. أعتقد أني أرى فيك شخصا متحضرا..

– إني سريع الفهم وأتعلم بسهولة . .

– إن العمل متعب .

– اسمعي يا "دليلة" . أين المشكلة؟ اقتنعي بأنك في احتياج إلى معاونة .

– ولم يعنيك هذا الأمر ؟

– إني مدين لك. أعتقد ذلك .

استطردت في إطناب؛ لكي تثنيه عن اقتراحه هذا:

– آه لا لا يا سيد "ماك جريجور" .

غير أنها– عندما بدأت هجومها– ترددت لئلا تصيبه في الصميم لأنه كان يبدو صادقا، هذا إن لم يكن مجنونا تماما، ربما كان ينتظر شيئا منها؟ لكن ماذا؟ ماذا ينتظر من فتاة لم يعرفها إلا منذ فترة وجيزة جدا؟

عادت إلى حديثها بنبرات هائة :

– أنا لم أبغ أن أكون نمامة أو مغتابة، لكن أعترف بأنك شاذ بعض الشيء؟، إنك ثري. أليس كذلك؟ وفي وسعك اقتناء طائرة خاصة بك... وأن تهبط بها أينما شئت. كما أنك تقترح تقديم شخصك كتعويض للإزعاج؟ المعذرة، لكن لو كنت تفكر في أنك مدين لي بأي شيء لكان ينبغي أن تعرض عليّ قدرا من المال وليس وقتك الثمين، الكل يعلم أن الوقت لأمثالك أثمن لديهم من أي شيء آخر .

استطرد "لوك" وهو يضحك من القلب :

– وجب أن أعترف بأن هذا حقيقي، وبالنسبة لذلك فإننا نتمتع أحيانا بالوقت أكثر من المال. وفي هذه الأيام لدي مشاكل مالية صغيرة. بالإضافة إلى أننا أوقفنا كل أنشطة الشركة حاليا. إذن إجازة إجبارية .

قالت :

– وليس أمامك سوى العناية بالخراف ؟

– قد يبدو من أغرب ما يمكن لكني أشعر بأني سوف أجد فيها متعتي.

واصلت "دليلة" الحديث :

– إنك تعيش في "ماموث"، تمام؟ في إمكانك القيام بالتزحلق على الجليد، أو ربما أنك تفضل اللقاءات العامة؟ "رينو" تبعد بضع ساعات بالطائرة... وفي الواقع وبالمناسبة إلى أين كنت متجها عندما اضطررت إلى الهبوط على أرضي؟

حينئذ انفجر "لوك" وقد خرج عن صوابه :

– ولماذا أكون أكثر من أني قد عرضت عليك مد يد العون ولقد اعتقدت...

سألته "دليلة" غير مصدقة :

– إني سأقبل عرضك هذا فورا؟ يا سيد "ماك" إني لا أعرفك لا عن طريق حواء، ولا عن طريق آدم، ولا أفهم حتى الآن ما تنتظره مني... الأمر الذي يجعلني عصبية جدا !

توجه "لوك" إلى النافذة ثم قال لها :

– هل تصدقينني إذا قلت لك إني انجذبت إليك، وإن هذا هو السبب الذي يدفعني إلى التصرف على هذا النحو ؟

أجابت "دليلة" :

– لا .

نظر إليها من القدمين حتى الرأس ثم قال :

– أراهن أنه بالعكس. إنك ستصدقينني عندما أعمل على التحليق في الجو معك .

– ولا أصدقك في هذا.

سألها بفضول واضح :

– ولم لا ؟

أجابته :

– لأني مقتنعة بأنك غير محتاج إلى الذهاب بعيدا من أجل ذلك يا سيد "ماك جريجور" .

– كنت بالضبط أرغب في البقاء هنا لحظة هذا كل ما في الأمر. كنت أفكر أيضا في سداد ديني بمساعدتك على القيام بعملك الشاق. أيضا إني أعفيك من "السيد" الأفضل أن تقولي "لوك" .

وكانت لنظراته– أثناء كلماته الأخيرة هذه– تأثير على أحاسيس "دليلة" .

سألته "دليلة" في خجل :

– يا سيد "ماك جريجور" ترى هل أنت هارب من البوليس ؟

– فيم تفكرين؟ لا، أنا ببساطة أحببت هذا المكان الهادئ، المستقر وأهم من كل شيء الخالي من التليفون اللعين .

– بدون تليفون؟ ها ها ! كنت أظنك تبحث منذ قليل عن تليفون.

– للاتصال وليس لكي يكون لي .

– إنك تحاول تجنب شخص ما يا سيد "ماك"، إن لي إحساسا بأنك أنت المحتاج إلى مساعدة.

شعر "لوك" بالحرج. تقدم نحوها ثم قال :

– عندما هبطت على أراضيك كنت ذاهبا لرؤية شخص ما، هذا الشخص... يتمنى أن أتزوج .

تمتمت "دليلة" :

– أنا لا أصدقك .

قال "لوك" ملحا وقد بدا عليه الألم:

– صدقيني، إنك لا تعلمين كيف أن "جلينا" تصر على ما ترغب.

لم تشك "دليلة" في قصته الصغيرة؛ لأنه كان يبدو صادقا لكنها كانت ترفض قبول فكرة أن فتاة يمكنها أن تتمنى رجلا مثله يتمتع بالثقة في النفس، وأن تصل بها الدرجة إلى أن تريده زوجا لها. سألته :

– هل أفصحت لها عن مشاعرك؟ هل وضحت لها أنك لست مستعدا بعد للزواج بها ؟

تنهد ثم قال :

– الأمر ليس بهذه البساطة إني أحب "جلينا" كثيرا ولا أرغب في إيلامها غير أن وجهات نظرنا تختلف، خاصة فيما هو متعلق بالزواج .

ثم أضاف وهو يغمز بعينه :

– لذلك أجد أني هنا في مأوى بعيد عن القلق .

كانت "دليلة" تراقب الصمت، كانت مشفقة على هذه الفتاة المسكينة التي وقعت في حب مثل هذا الرجل، إنها في الواقع تخدمها بمساعدة "لوك" : كانت تجنبها الارتباط بمثل هذا الشخص التافه .

أخيرا أردفت :

– لست أدري كيف سأتصرف، وجب أن أفكر في هذا الموضوع؛ لأنه يتضمن عدة مشاكل .

– أي مشاكل ؟

– أولا : لا أعلم أين أجد لك مسكنا. وأنت تعلم أنه ليست لي سوى حجرة واحدة .

– في إمكاني النوم على الأريكة .

نظرت إليه نظرة ريب ثم قالت :

– كنت أفكر في مخزن الغلال .

– آه يا "دليلة" ! هل تخافين مني ؟

– لا . لكنني واقفة على أرض سليمة ...

– هيا يا "دليلة" ...

– هل لك فكرة عما سوف ينتظرك ؟

– ماذا تقصدين ؟

– هل سبق لك أن حضرت ولادة ؟ إنه عمل غير نظيف .

أشار إليها بعلامة الكشافة :

– أعدك بأن أبدل ملابسي .

تمتمت مرتابة :

– هيه! وجب أن أعتمد على مساعدتك لي في أي وقت كان،

صباحا أو مساء. إن الحيوانات لا تختار وقت الولادة.. إنك تعلم هذا...

– أتعهد بذلك أمامك. هل من اعتراض آخر ؟

كانت "دليلة" تحتفظ باعتراضات أخرى في ذهنها: كان جذابا جدا، فكانت ترتبك عندما يقترب منها. غير أنها كانت تجد أنه من الصعب توضيح ذلك له .

وأخيرا أجابت :

– سأعمل على التفكير في هذا العرض !

أردف "لوك" مبتسما واضعا أمله في نجاح شركتهما المقبلة:

– حسنا. وفي الانتظار، ما رأيك إذا كنا نتوجه لإيجاد تليفون وأيضا ملابس مناسبة أكثر لهذا العمل ؟

كان بالتأكيد واثقا برد "دليلة" ؛ لأنه في الحقيقة – هكذا كانت تعتقد – كان لا ينبغي سماع كلمة "لا" .

كانت ترغب في أن تكون هي التي توجه هذه الإجابة الواثقة .

– الوقت متأخر الآن ولا أستطيع الذهاب إلى هناك وتأكد تماما أن هذا لا يهمني .

– لماذا لا تعيريني سيارتك النقل الصغيرة؟ إذ بها سوف أتمكن من القيام بشراء لوازمي وأيضا ما تحتاجين إليه، هذا إذا شئت. ما رأيك في هذا الاقتراح ؟

أجابته :

– اتفقنا، المفاتيح موجودة على التابلوه .

– شكرا .

قالت بصوت عال :

– يالله من رجل نادر!

بدأت حينئذ في ترتيب أواني المطبخ النظيفة، وكانت مسرورة وهي تتخيل رئيس شركة "تيرمودين" نائما ومغتسلا في المخزن قبل الخراف،

هذا الرجل الذي يصلح لأن يتصدر مجلة للرجال لما كان يبدو عليه من أناقة وجاذبية، وهو يعتني بالخراف والجداء .

غير أنه مع كل ذلك، كانت هناك وجهات نظر تسيطر عليها، على سبيل المثال قبلة هذا الصباح، صوته الهادئ، الرقيق وخاصة هذه الشقة اللعينة التي وضعتها فيه والتي لابد ألا تفارقه ثانية واحدة.. باختصار كل شيء فيه كان يقلقها ويبعث فيها الشك .

أما عن "دليلة" فقد كانت فتاة عملية وواقعية، سلمنا أنها ستجعله نائما في المخزن! لكن بالنسبة للأكل، فبالتأكيد سيكون مشتركا وكذلك سهرات ليالي الشتاء الطويلة بقي ألا تغفل عن أن الحمام مشترك .

توجهت "دليلة" إلى الحظيرة للقيام بعملية الحلب، وأثناء أدائها هذه المهمة الرقيقة اتخذت قرارا: عدم قبول اقتراحه. ومع ذلك فإن الرغبة التي كانت تدفعها إلى الاحتفاظ به إلى جانبها كانت أحد الأسباب الجيدة لرفضه؛ إذ إنه من الممكن أن يصبح الموقف صعبا بالنسبة لقلبها الرقيق وليس أمامها وقت- حاليا- لكي تضيعه مع هذه الأمور المعقدة .

عندما سمعت صوت السيارة التي تقترب منها عادت إلى المنزل وقد عزمت على إحاطته علما بقرارها، دون انتظار .

لم تغفل "دليلة" عن التوقف وهي في طريقها إلى المنزل، لإطعام "ليدي"، ولكي تتحقق من أن الماء كاف في المسقى استغرقت في ذلك عدة دقائق مما جعل "لوك" يتقدمها. عندما دخلت إلى المطبخ استنشقت رائحة طعام ذكية، أما رئيس الشركة- وكان في ملابسه الجديدة- فقد ألقى بسيجاره في الحوض عندما التفت وقت دخولها. قال :

- آسف، إني معتاد التدخين عندما أقوم بالطهو وهذا لكي يمنعني من التهام كل ما أعده من أكلات .

- إنها رائحة "ستيك" شهية اليس كذلك ؟

أجابها وهو يضع خضراوات السلطة على حافة الحوض :

- نعم. والآن أمامك الوقت لكي تغسلي السلطة وتعديها .

بدأت "دليلة" العمل. كان "لوك" قد قام بعمل مشتريات تكفي لعدة شهور. كانت "دليلة" تتساءل كيف ستقوم بسداد هذه المبالغ إذ لم يكن معها قدر كاف من النقود تحت تصرفها.

سألها :

- هل تعلمين ماذا ينقصك ؟

أجابته :

- زوج صغير، لطيف مثلك .

استطرد "لوك" ناصحا إياها :

- لا. بل فرن كهربي بموجات؛ لأنه في الحقيقة أسرع .

- كم علي لك ؟

جلست "دليلة" أمام المائدة. وتلخصت إجابة "لوك" لها بأن وضع طبقها أمامها. وجدت المسكينة صعوبة في عدم الإسراع إلى التهام ما به؛ لأن ما به كان شهيا .

قال وهو يميل عليها :

- لا تقلقي من أجل ذلك. إنه أنا الذي أدعوك .

- أوه ! لا ...

استطرد مبتسما :

- إني أعتبر أن هذا أقل ما أستطيع تقديمه لك، في الحقيقة كنت أنوي دعوتك على تناول العشاء معا، لكن بما أنك لا تتركين خرافك أبدا اضطررت إلى القيام بعمل الطاهي .

اقترب بعد ذلك منها؛ لكي يمنحها قبلة على أنفها. ثم توجه لإحضار طبقه ثم قال لها :

- هيا يا "دليلة" كلي! إنه أمر مني .

- وهل تتلقى أوامر كما تعطي؟ ما رأيك في أن تكون خاضعا

لاوامري؟

ثم أمسكت بالشوكة والسكين .

أجابها :

– هذا متوقف على نوع الأمر. لكني أعتقد أنه في إمكاني إطاعتك، هل ينبغي أن أعلم ما تريدين مني؟

أسرعت "دليلة" في الرد :

– لا ... إن هذا لا يعني شيئا..

ارتبك ذهن "دليلة" في هذه اللحظة، لماذا لا تصرح له بالبقاء؟ إنه ليس بسارق ولا سفاح. بالإضافة إلى أنه أول من لا يطمع في أراضيها. إنها المرة الوحيدة التي لاقت فيها مثله .

وكان "لوك" قد قرأ أفكارها عندما وضع لها منشفة على ركبتها.

قال لها :

– حسنا. أنا أقوم بغسل الأواني، وأنت عليك التجفيف، سنتقاسم المسؤوليات، على شرط أن أبقى هنا بالتأكيد. إذن ؟

– ماذا ؟

– هل ستسمحين لي بالبقاء ؟

نهضت "دليلة" فجاة، فتحت دولابا واخرجت منه لمبة غاز قديمة.

سالها "لوك" مشيرا بإصبعه إلى هذا الشيء:

– ماذا ستعملين بهذا ؟

ترددت قليلا وهي تمر باصابعها على المصباح، تنفست بعمق ثم أعلنت :

– ساعد لك سريرا في الحظيرة .

– أنا لم أتفق معك على النوم في الحظيرة. ما الذي يخيفك من نومي معك تحت سقف واحد؟ أنا لا أفهم، إن مساء أمس ...

قاطعته بقولها :

– مساء أمس لم تكن في وعيك .

– ألا تثقين بي ؟

سالته :

– وهل هذا واجب علي ؟

أجابها محاولا الاقتراب منها :

– حتما. صدقيني يا "دليلة" إني لن آتي بأي فعل لا يعجبك. ما عليك إلا ... الرفض...

دفعته "دليلة" بقوة، وولجت إلى حجرة النوم. ثم عادت منها حاملة وسادة وكوفرتة قد ألقت بهما بين ذراعي "لوك".

ثم أردفت ببرود :

– ستجد أكياسا من القش في المخزن .

ثم فتحت الباب وظلت بلا حراك؛ حتى تفهمه أنه ليس أمامه إلا أن ينصرف .

ثم قالت له:

– من فضلك... ساعمل على نزولك إلى المدينة غدا. والآن إذا سمحت، أريد الذهاب للنوم .

– في الساعة الثامنة ؟

– لقد استيقظت في السادسة صباحا !

قال بصوت منخفض :

– "دليلة". هل حقا عندك مشكلة ؟

– نعم، لكنها ستختفي غدا. ستطير، ستحلق في الجو هيا يا سيد "ماك جريجور" .

تردد "لوك" لحظة ثم أمسك بمصباح الغاز وقال لها :

– طاب مساؤك يا "دليلة" .

خرج ثم ابتعد .

في الحال دخلت "دليلة" إلى الحمام، أخذت دشا، دلكت وجهها بالكريم ومشطت شعرها بقوة.

في الواقع، هذا الرجل لا يعتبر غريبا؛ لأنها منذ أن اعتنت بجرحه شعرت بأن هناك شيئا من الألفة قد قام بينهما... وكانت عاجزة عن وصفه. ترى ماذا سوف يحدث إن لم تتصد له؟ حقا إن محاولاتها السابقة في الحب قد انتهت بالفشل، لكن لماذا لا تكون مختلفة مع هذا الشخص الساحر الجذاب. لا. لا إن أول ما ستقوم به في صباح اليوم التالي هو أن تنزله إلى المدينة، هو يعود إلى داره وهي إلى خرافها. نظرت "دليلة" من النافذة، رأت ضوءا أبيض باديا من باب المخزن وقد كان مفتوحا إلى نصفه. يبدو أن الرئيس "لوك" كان يعاني الأرق.

*****

كان "لوك ماك جريجور" يدخن سيجارة بهدوء في المخزن الذي كان قد وجد فيه استقراره. كان قد أعد لنفسه سريرا من القش والتف بالكوفرتة.

كانت "دليلة" صائبة في رأيها عندما قالت له:

إنه من الممكن أن يكون في هذا الوقت متمتعا بالتزحلق على الجليد أو على شاطئ البحر. لكنه كان هنا عند "دليلة بومنت" وكان ينبغي أن يستفيد من هذه الفرصة. لكن لسوء الحظ كانت الفتاة أكثر جفافا من والدها الملعون. كان "لوك" حائرا في الحكم على تصرفاتها؛ كانت أحيانا تبدو مرنة ثم... وهو ما كان يضايقه بالأكثر أنه عجز عن قراءة أي شيء في عيني هذه الفتاة. لابد من الصبر، لابد من إطالة المدة حتى يتمكن من تنفيذ خطته! وجب أن يعثر على الطريق الذي سيسمح له بالدخول إلى "دليلة" وإحباط وسائل دفاعها.

كان يخشى ألا يجد الوقت الكافي. كما أنها كانت مصرة على اصطحابه إلى المدينة صباح غد!

تصطحبه... لقد شكر "لوك" ملاكه الحارس؛ لأنه أوحى إليه بفكرة نابغة. لأنه في كل مرة كان يواجه موقفا حساسا كان يخلصه منه. أما

السؤال الذي كان "لوك" يتساءله ضاحكا فهو: بأي وسيلة ستصطحبه صباح غد؟

نهض "لوك"، خرج من المخزن. سحق سيجارة بقدمه ملقيا نظرة إلى المنزل. ليس ما يخشاه من هذا الجانب، لابد أن تكون "دليلة" نائمة مثل طفلة؛ لأنه لا يوجد أي ضوء ينم عن يقظتها. ليس ما يخشى من جانب "ليدي" أيضا؛ لأن هذه الكلبة كانت قد اعتبرته مقيما. أخذ المصباح تحت ذراعه واتجه نحو المسكن الذي يسوده السكون والذي كانت العربة مركونة إلى جواره.

وكما كان متوقعا قابل "ليدي" في طريقه. لكنها أتت إليه دون أن تعطي أي إنذار. لقد وصل إذن إلى العربة بدون أي صعوبة. حينئذ قام "لوكاس بايرون ماك جريجور" رئيس شركة "تيرمودين" بمعاونة ملاكه الحارس، مصباح الغاز ومطواة بعملية خاصة جدا بكل هدوء.

الفصل الخامس

وفي صباح اليوم التالي استيقظت "دليلة" على رائحة تحمير جذابة شهية، كانت تنام نوما عميقا بعد يوم شاق، قضته في العمل والتفكير المضني .

عندما فتحت عينيها وقع بصرها أولا على كوفرتة "لوك" التي كانت تغطيها، نزلت من السرير في قفزة واحدة ملقية نظرة ضيق على المنبه الذي كانت قد غفلت عن ضبطه في الليلة السابقة .

أتى إلى مسامعها صوت غسل أوان في المطبخ. ترى ماذا كان يعمل؟

ارتدت "دليلة" ملابسها، صففت شعرها ودخلت المطبخ.

– صباح الخير، الجو جميل والشمس ساطعة في هذا الصباح.

التفت "لوك" ملقيا إليها ابتسامة رائعة .

تساءلت: كيف يحدث أن يكون المرء متمتعا بمثل هذه النضارة في ساعة مبكرة من الصباح كالآن؟ وهي التي كانت تعتقد أنها تستيقظ مبكرا، لم تعتد أن تستيقظ في منزل مسكون، وعلى روائح لذيذة... لكنه كان ببساطة أمرا رائعا .

مد "لوك" لها يده بقدح قهوة.

سألته ثائرة :

– إذن . أمن السهل أن يدخل المرء وكأنه في منزله ؟

– أؤكد لك أني قرعت الباب، لكن يبدو أنك كنت نائمة. كيف تحبين البيض ؟

نظرت إليه "دليلة" وقد بدا عليها التشويش ثم قالت :

– ناضج جيدا... هل تحب القيام بإعداد الطعام حقا ؟

– ليس بالضبط، إنما أحب الأكل وعندما لا أجد من أعتمد عليه...

– هل عندك مدبرة منزل أم أن هذه الفتاة التي تحلم بأن تتزوجك تقوم

بهذا الدور ؟

– من أجل إعداد طعام لابد من وجود مطبخ، إذن منزل، إني أقضي وقتي في مكان العمل .

– وأين تختفي بـ"ماموث" ؟

ابتسم لها "لوك" ثم قال :

– لي مكان هناك، لكن نادرا ما أتوجه إليه. هل نتناول الإفطار؟

تقدم "لوك" وبيده طاسة بها نصف دستة بيض مقلي لذيذ .

جلست "دليلة" أمام المائدة في الوقت الذي كان هو يعمل على تحميص قطعتي "توست"، كان مازال يرتدي نفس ملابس العمل، ربما لكي يؤكد أنه مستعد لمشاركتها مهمتها، وكان قميصه المفتوح يقدم إلى "دليلة" منظر صدره ذي العضلات القوية.

سألها :

– في أي ساعة بالتحديد وجب أن أكون مستعدا للرحيل ؟

– آه... في الواقع لقد تأخرت بعض الشيء. لنقل إنه يلزمني حوالي ساعة للعناية بالمواشي، ثم...

سكتت فجأة. ولما حولت نظرها بالصدفة نحو الحوض رأت أن بعض الأشياء ليست في مكانها.

سألته :

– أين هي ؟

– ماذا ؟

– حاجاتي كنت قد تركتها بالأمس بالقرب من الحوض.

– آه. لقد فردتها ظنا مني أني بهذا أحسن التصرف. كان لا ينبغي القيام بذلك ؟

أسرعت "دليلة" إلى الباب ثائرة فتحته وإذا بها تكتشف الموقف الرهيب: ملابس داخلية تتدلى في هدوء تحت أشعة الشمس. لم يكن أحد يعلم- عدا "مارا- جان" أنها تخفي تحت البنطلون الجينز والـ"تي

شيرت" اللذين كانا يمنحانها مظهر الرجولة ملابس رقيقة كالتي تستخدمها أي أنثى. لكن ها هو "لوك" قد علم ذلك هو أيضا. عانت الحرج الشديد أمام هذا الرجل. اقترب "لوك" من "دليلة" التي قاومت بشدة لكي لا تنفجر في ثورة عبارة عن مزيج من الغضب والنحيب.

– باي حق عملت هذا ؟

– أردت أن أقدم لك خدمة ...

– إذن اعمل على إرضائي بتغييبك المرة القادمة !

دخلت "دليلة" إلى الحجرة، ثم خرجت منها بسرعة وهي تضع رداء واقيا من الريح وقفازا بيديها.

قالت له :

– أمامي ساعة عمل كن مستعدا للرحيل عند عودتي.

*****

أخذت دليلة" تكرر للمرة الرابعة :

– أنا لا أفهم. لم تحدث لي أدنى مشكلة قبل الآن مع سيارتي. كان الموتور يصدر صوتا لكن لا يعمل على تحريك السيارة.

قال "لوك" :

– ربما لحقها بلل ؟

– لم يسبق أبدا أن يحدث لها مثل هذا التلف، سألقي نظرة إلى الكبوت.

قال وهو يفتح الكبود :

– ابقي أمام عجلة القيادة وساقوم أنا بذلك.

– هل أنت على دراية بهذه الأمور ؟

أجابها مازحا :

– لا تنسي أني مهندس.

سألته وقد استبد بها القلق :

– ماذا ترى ؟

– هيا، شغلي ...

لم يستجب الموتور لمحاولات "دليلة".

– لا فائدة !!

قال :

– قد يكون العطل في المحرك ذاته.

التفتت "دليلة" وهي تشك في قدرات "لوك" الفنية. ثم أردفت :

– إنها بالتأكيد ابتلت.

ثم نزلت وأغلقت الباب بشدة، قال لها :

– كان ينبغي أن تكوني أكثر حذرا.

أولا حقلها، ثم منزلها وسريرها وحمامها. لم يكن رجلا هذا الذي وافقت على استضافته لكنه كان مخربا حقيقيا !

ثم سألها :

– حسنا، وما هو برنامج يومك ؟

– لماذا ؟

– كيف ذلك ؟ لكي أعاونك.

ثم أضاف وهو يدور حول نفسه :

– كما أني لم أضع هذه الملابس بلا فائدة.

سارت "دليلة" تجاه الحظيرة و"لوك" من خلفها. ثم قالت له :

– لدي شاة ينبغي أن أقوم بحلبها. أعتقد أنه في إمكانك أن تكون نافعا.

– أخبريني بما تطلبين مني.

قالت "دليلة" :

– إن الإناث ستلد خلال ثلاثة أسابيع. ومن المستحيل متابعتها كلها معا؛ لذلك وجب تقسيمها إلى مجموعات، ها هي أرقام تلك التي أرغب في عزلها.

بعد ذلك مدت له يدها بكراسة مدون بها كل شيء وأضافت :

– إنها ستلد هذا الأسبوع .

سألها "لوك" وهو يتفحص القائمة :

– الأرقام؟ ماذا يقصد بـ"أحمر ١٠٤"، موف (بنفسجي) "٩١١"؟

أجابته :

– إنه الوشم الذي على الحيوانات .

دخلا إلى الحظيرة.

قالت له وهي تتقدم القطيع :

– قم بعمل الحاجز .

سألها :

– أمن الممكن أن توضحي لي أكثر ؟

وضحت له "دليلة" دوره:

– أي ترك الحيوانات غير المختارة تمر ومنع الأخريات.

قالت له :

– احتفظ بالقائمة، سأمسك بالمواشي واحدة واحدة، وأعلن الأرقام وأنت عليك بإخباري إذا كانت هذه الأرقام مدونة على القائمة أم لا .

– حسنا. أعتقد أني كفيل بالقيام بذلك .

– مستعد؟ جاهز؟

اكتفى بهز كتفيه ووقف بالقرب من البوابة.

– حسنا يا سيدي المهندس ...

قام "لوك" بالدور الذي أسندته إليه بنجاح وكانت الأمور تسير على ما يرام، وكأنه عامل زراعي. كان "لوك" بالتأكيد يجيد كل ما تطلبه منه "دليلة" .

أما هي فكانت من حين إلى آخر تلقي إليه بنظرات تعبر عن الإحساس بالقلق أكثر من أن تكون نظرات إعجاب. كان يتابع تعليماتها بالحرف الواحد ويجيبها على النو فكانت تدرك بالتالي أن مهمتها أصبحت

سهلة ولم تعد "دليلة" تتذمر من شيء، غير أن ما كان يبدو على "لوك" من رضا كان يثيرها. أخيرا لقد أصبح نافعا.

وفي نهاية فترة بعد الظهر لم يبق في الحجز للحلب إلا بعض الحيوانات، توقفت "دليلة" وسألته :

– "لوك" هل الرقم "٩٠٧" موجود بالقائمة ؟

– نعم، مع تعليق عليه .

– بالضبط ليس لدي موعد محدد لها، لقد قمت بفحصها بالأمس، يبدو لي أن حجم ضرعها آخذ في الازدياد، سأتحقق من ذلك. غير أن الدابة المسكينة كانت قد تلقت درسا مما لحق بها في الليلة الماضية، ولم تستجب بسهولة للإمساك بها .

أمسكت "دليلة" بها من فروتها لكي تخضعها، غير أن رقم "٩٠٧" – وهي شاة قوية– أتت مندفعة نحو القطيع ملقية بـ"دليلة" على الأرض. لحسن الحظ كانت قد تفحصت غيرها. لكنها شعرت بأنها جرحت في كرامتها. وقبل أن تحاول النهوض، شعرت بذراعي "لوك" ترفعانها فصاح:

– "دليلة" ! أنت بخير يا "دليلة"؟ تكلمي قولي شيئا .

ثم صاحت :

– احذر يا "لوك" ! الحاجز يا "لوك" !

لقد فاتت الفرصة، و الشاة قد تمكنت من الهرب وأخذت تقفز متحررة في المرعى .

قال في خجل :

– اعتقدت أنه قد أصابك سوء .

– وهانت ترى أنه لا، أرحني من فضلك .

أطاعها "لوك" واستمر واقفا بالقرب منها، عسى أن تحتاج إليه .

قال:

– إني متأسف يا "دليلة" . ما الذي ينبغي أن أقوم به لكي أستردها ؟

أجابت :

– ليس ذلك بالأمر الصعب. ستعود عندما تشعر بالجوع.

كانت "دليلة" غير قادرة على احتمال قربه منها، مبتسما لها بدون عاقبة سيئة كما أنها كانت متحاملة عليه؛ لأنها بدت في موقف سخيف أمامه، إنها أول مرة في حياتها تعجز فيها "دليلة" عن السيطرة على الأحداث وتحمل عواقبها .

قال وهو يمسح لها وجهها بيده :

– أعتقد أننا انتهينا اليوم .

بإشارة من رأسها أيدت "دليلة" قوله.

استطرد :

– عليك بالعودة والتصرف كما يحلو لك أثناء. قيامي بإعداد وجبة غداء جيدة.

كان "لوك" مازال ممسكا بوجهها بين يديه، وقبل أن تتمكن من الرد عليه تمكن من منحها قبلة ودية... ثم اقتادها مسرورا راضيا عن نفسه نحو المسكن .

*****

– هل تعلمين ما ينقصك وقد يكون عمليا ؟

– لا . لكنك ستخبرني به بالتأكيد .

– تخيلي اتصالا بين هذا الباب والحظيرة .

ألقت إليه نظرة غريبة... كانت مازالت غاضبة من الحدث الذي لحق بها في الصباح غير أنها فوجئت لاقتراحه هذا؛ إذ إن فكرة الربط بين المخزن والحظيرة كانت نفس الفكرة التي تراودها منذ فترة طويلة وكانت ترغب في تحقيقها، كما أنها كانت تأمل الحصول على مبلغ من المال هذا العام يكفي لإتمام هذا المشروع.

أجابته بنبرة جافة :

– شكرا على النصيحة لم أكن أفكر فيها بمفردي .

ابتسم لها "لوك" :

– في إمكاني أن أكون نافعا، كما أني أعشق القيام بحل المشاكل، إذا وجدت أمام أي صعوبة كانت فستجدين أني أبذل أقصى جهدي للعثور على حل لها والخروج منها أو تفاديها، إنها ليست قدرتي. إنه انعكاس.

– أهكذا تصف نفسك؟ إني أراك بالعكس عنيدا وربما غبيا .

كانت "دليلة" جالسة على برميل كبير بالقرب من المخزن، وكانت الشمس تقع عمودية على هذا المكان الذي يصلح لنزهة غير متوقعة.

كانت الوجبة عبارة عن ساندوتشات دجاج، سلطة وأيضا فواكه طازجة كان قد تم جمعها من الحديقة .

أما "لوك" فكان مستندا إلى الحائط الأسمنتي، شاردا ملقيا بنظرات تائهة إلى الأفق البعيد في اتجاه الجبال المجاورة.

فجاة وبنبرة قد جاءت هادئة، عذبة – قد فوجئ لها "لوك" – استطردت "دليلة" :

– دعني وحدي مع مشاكلي !

أقنعت نفسها بانها ليست صحبة "لوك" التي منحتها هذا الارتياح وهذه الرفاهية، إنما اليوم المشمس... والساندوتشات الشهية .

– لا معنى لذلك. ومن ذا الذي لا يرغب في أن يرى مشاكله قد حلت ؟

كان صوته هادئا ووديعا .

– حتى أكون فتاة مستقلة لقد اعتدت أن أحل مشاكلي بنفسي .

– وقد اعتبر أنها فتاة عنيدة، إنك تفضلين الكفاح عن الاعتراف بأنك أحوج ما تكونين إلى معين .

– حسنا جدا، في حالة تعرضي لأي مشكلة سوف أصرخ قائلة: النجدة! غير أني لا أصطدم بالأشياء لا سيما عندما لا يكون هناك ما

يتطلب العمل، إن قبول ما لا يمكن تغييره يسمى ملاءمة يا "لوك" .

– أما أنا، فأسميه تعرضا للخطر. أنا شخصيا أسخر منه .

وضعت "دليلة" ساقيها تحتها، ثم أردفت :

– إنها الطريقة الوحيدة للحياة، هذا من جانبي؛ لأن غير القادرين على التوافق مع الحقيقة الصعبة معرضون للاختفاء. مثل الديناصورات.

– موافق، لكن عدا من يرفضون التعرض للخطر والذين قاوموا الأحداث ربما كنا مازلنا بين الأشجار وما كانت هناك فرصة للحضارة .

وافقت "دليلة" مرغمة ثم قالت :

– اتفقنا على أن هناك قليلا من ذلك، لكن أنا هو أنا، إني أعرف كيف أتصرف إزاء مشاكلي الشخصية .

قالت هذا ثم التهمت ما كان قد تبقى من الساندوتش وتناولت رشفة من العصير .

قال "لوك" :

– حسنا. "بوبي" وأنا أيضا هو أنا. لقد اعترفنا أنه لابد من كل شيء لتكوين عالم. أتعتقدين أن المكان هنا يكفينا كلينا؟ هل نستطيع العمل معا ؟

كان صوته العذب يخفي معاني كثيرة. كانت "دليلة" مرتابة في أمره، ولما كانت لا تجد ما تجيب به عليه، فجأة صدمتها قدم "لوك" التي كان يسندها إلى البرميل، فاختل توازنها.

ولما وجدت نفسها منطرحة على الأرض رفعت ذراعيها لكي تمسك باول شيء تستطيع التعلق به .

وكان "لوك"! أمسكت بكتفيه فما كان منه إلا أن ضمها إليه، تقارب وجهاهما... وجدت "دليلة" نفسها عاجزة عن التنفس .

تمتم "لوك" :

– إذن، ما قولك؟ هل نعمل معا؟ هل نتعاون اليد في اليد ؟

– همهمت :

– م م م ...

– أخبريني كيف تتصرفين لإدخال كل هذه الحيوانات من الحظيرة إلى المخزن عن طريق الحديقة ؟

تمتمت :

– إنها عملية أشبه بمحاولة ملء سلة مثقوبة !

ثم انطلقا في الضحك، ضحكات من القلب، بدأت "دليلة" تلين ثم قالت:

– غير أن المشكلة لا تكمن هنا، المشكلة هي أني لا أمتلك المواد اللازمة لإقامة ممر محاط بسياج .

غمز لها بعينه ثم قال لها :

– نعم بالتأكيد. عندك كم من الألواح الخشبية بالقرب من الحظيرة، وأيضا هذه اللفة من الأسلاك الشائكة التي استخدمت جزءا منها لإصلاح السور .

– الباقي لا يكفي. لقد قسته .

قال مازحا :

– ضعي ثقتك في، قبل كل شيء أنا مهندس .

– لكن ...

– هيا، دعيني أنفذ، هل ستساعدينني في التشييد إذا رسمت خطة محددة للممر ؟

كان هناك شيء خطير في موقفهما في هذه اللحظة، كانت "دليلة" عاجزة عن التفكير.

سمعت "دليلة" نفسها وهي تجيب "نعم"، مكثا بعد ذلك يتبادلان النظرات. إلى أن قطع "لوك" فترة الصمت هذه قائلا :

– اتفقنا يا آنسة .

قام "لوك" بوضعها على الأرض ثم فرك يديه علامة تشجيع، وأصلحت "دليلة" تسريحة شعرها ثم وضعت قبعتها القش على رأسها.

– حسنا. سأحتاج إلى بعض الأشياء .

قالت بهدوء :

– تمام، خشب .

الآن وقد وجدت "دليلة" نفسها قادرة على التفكير– إذ قد تخلصت من سحره الأخاذ– أيقنت أنه وجب التفكير في اقتراحه الكريم هذا. "ياله من رجل" "أنا كل شيء" "شخصية جبارة" . لقد أخطأت عندما وافقت؛ لأنها كانت تعلم أن ما لديها من مواد غير كاف وكم فكرت في هذا الأمر من قبل .

أجابها "لوك" غير مبال بمبرراتها :

– شاكوش، مسامير، سلك ومعول .

سألته بهدوء :

– هل يكفي جاروف قديم للقيام بهذه المهمة ؟

– سوف نكتفي به . ليتك تحضرين لي قفازا .

– ومنذ متى تعتبر نفسك رئيسا ؟

أجابها "لوك" بابتسامة رضا رائعة.

كانت فترة ما بعد الظهر توحي بأنها فترة مثيرة ....

الفصل السادس

كانت الأمور تتخذ مسارا حسنا بالنسبة لـ"لوك" . إذ إن مشاريعه إغراء "دليلة" وإقامة الممر للحيوانات تتقدم بلا صعوبات .

كانت "دليلة" تتمتع بمزاج حسن طوال فترة ما بعد الظهر، وكان ممتعا لـ"لوك" أن يشاهد كم أن الفتاة بنت القاضي "بومنت" تبدو رائعة إلى هذا الحد .

كان هذا التشييد سهلا في إنجازه بخلاف ما كان "لوك" يتوقع، كما أنه كان لا يستطيع فهم لماذا كانت "دليلة" تعارض هذا المشروع .

بالتأكيد سبب جيد آخر من التمسك بالرأي. أما أصعب مهمة فقد كانت عملية الحفر لوضع الأعمدة، وأخيرا في نهاية فترة ما بعد الظهر وجد "لوك" يديه مليئتان بالفقاقيع.

كانا قد قضيا خمس ساعات في التسمير، نشر الخشب ومسحه بالفارة .

كانت "دليلة" قد أخطأت بالنسبة لعدد الألواح الخشبية؛ لأنه كما حسبها "لوك" كان العدد أكثر من المطلوب، كان حاجز الممر يصل إلى ارتفاع القامة ومهما كانت قدرة الخراف على القفز فلن تتمكن من تخطيه والهرب منه .

على كل كان "لوك" فخورا لإنتاجه هذا، كما كان فخورا لكل ما كان يقوم به من إنجاز بخلاف ذلك. كان أشبه بصبي يجرب قطاره الكهربائي : كان لابد له أن ينتظره لكي يجربه. فجأة أتت عبارة سب إلى مسامع "لوك" الذي التفت نحو "دليلة" وكان فمه مملوءا بالمسامير.

"لماذا تعمل دائما على تنفيذ ما ترغب فيه حسب تفكيرها" ؟ هكذا كان "لوك" يفكر. كان قد حذرها عشرات المرات ألا تحاول حمل هذه

الألواح الخشبية الثقيلة بمفردها! لكن لماذا لا تبدي استقلالها؟ إذا جرحت فسيكون هذا درسا لها .

وكان واضحا أنها أصيبت، كانت واقفة خافضة رأسها، مشبكة يديها وكتفاها ترتجفان، وعندما رأى أنها تميل إلى الخلف وهي تدلك يدها وضع الشاكوش والمسامير على الأرض واقترب منها. وصاح:

– "دليلة"، أريني هذا.

بالتأكيد كان لابد أن تقاوم كفتاة مستقلة حقا .

قالت :

– لا شيء .

– هيا، أرغب في إلقاء نظرة على ما لحق بك.

رفعت رأسها وعمقت النظر إليه بعينيها الزرقاوين الرائعتين. كان "لوك" ذات يوم قد أصيب في صدره من جراء اصطدامه بعجلة قيادة سيارته في حادثة كان قد ارتكبها في "كولورادو". كان وقتئذ قد تساءل خلال ثوان إذا كان قلبه سوف يكف عن الخفقان... وهذا الألم هو ما يشعر به حاليا بالضبط. كانت أيضا تساوره رغبة قوية في احتضان "دليلة" والهمس لها في الأذن بوعود رقيقة.

كانت أيضا شفتا "دليلة" ترتجفان، فحاول "لوك" تحويل نظره عنها والتطلع إلى اليد الجريحة .

قال :

– سنتوقف هنا .

أشارت "دليلة" برأسها إلى عدم استحسان حكمه.

قالت :

– انظر، إنه ليس خطيرا. غاية ما في الأمر لقد ارتطم إصبعي. وعلى كل حال أنا لا أشعر تقريبا بالألم .

راقب "لوك" إبهامها بدقة، ثم نطق بتشخيصه للإصابة .

قال بعد ذلك :

– ارتطم وجرح. آه لا! عندك قطعة خشب دقيقة تحت الظفر وجب أن ننزعها يا ذات العينين الجميلتين.

كانت الفتاة تتنفس بعمق كمن أوشك على فقد ثباته أو من يكاد ينخرط في الانتحاب.

حينئذ فكر "لوك" أنه ربما يكون هذا طبعها. لم يكن يتخيل– مهما كان الأمر – بأنه في إمكانه أن يجعلها تبكي، ولم يتقابل من قبل مع من يكره مثلها فكرة الخضوع أو التراجع .

– إذا تركتها في مكانها فستتسبب لك في التلوث، سيصبح لون الظفر أسود قبل أن يسقط، كما أن إصبعك سيصاب بالتسمم وفي النهاية سيؤدي هذا إلى موت بطيء .

تمتمت بكلمتين أو ثلاث بخصوص جدارتها في المعرفة.

قال :

– في إمكانك الالتجاء إلى نظرياتك، لكن هذا لا يثبت شيئا بالمرة.

سألته :

– ماذا تقصد ؟

لاطف "لوك" طرف أذنها ثم سألها :

– ألا تتذكرين ؟

– آه بلى، بالتأكيد. كنت فاقد الصواب وقتئذ. كان مغشيا عليك.

– لك مطلق الحرية في الإغماء إذا شئت أثناء ما أقوم بالعناية بك، هذا لا يزعجني. أين أعثر على إبرة أو ملقاط ؟

سألته وهي تتنهد :

– هل من الواجب علي تزويد جلادي بآلات التعذيب؟ أعتقد أنه يوجد إبرة مع معداتي الخاصة بالتمريض البيطري في المخزن، لكن ليس لدي جفت. كما أنه لا يغشى علي أبدا لكن ربما يحدث أن أتقيأ عليك لسوء الحظ....

– حسنا هأنا سأعيش .

كان صوت "دليلة" ذا رقة وهدوء غير مألوفين إلى حد جعل "لوك" يفتح عينيه وينظر إليها دهشا... كانت جالسة في ارتياح على الفش تتأمل إصبعها بعناية .

– هل رفعتها ؟

أجابته :

– نعم يا دكتور .

– أريني .

– أتعتقد أن هذا ضروري ؟

ثم مدت له يدها وقال لها :

– لا أرى شيئا مع هذا الغبار الضخم. هل أنت متأكدة من أنك رفعتها؟

– لقد انصرفت .

– وما الذي يعطيه هذا اللون البني ؟

– صبغة اليود .

– صبغة اليود؟ وماذا تعملين بالمطهرات الأكثر فاعلية ؟

– إنها غالية الثمن، إني أستخدم صبغة اليود في علاج الحيوانات، أخبرني يا "لوك" كيف تدعي أنك قادر على معاونتي أثناء ولادة الحملان بينما أنك تصاب بالإغماء عند رؤية الدماء ؟

قال وهو يستند إلى كوعيه :

– إن الدم لا يقاس بمالي من حساسية، أنا لا أحتمل رؤية أي كائن متألم. إني هكذا!

ابتسم لها فرأى وجهها يتعبس في الحال، وعينيها تغلقان، تضايق "لوك" عندما رأى أن ابتسامته تسبب عندها حركة صد آلية.

قالت :

– لا تهتم إذا جرحتني، إني أقوى مما أبدو عليه.

قال :

– لقد سبق وأخبرتني بذلك. هل لمسك أحد قبل الآن يا "دليلة" ؟

وجهت إليه نظرتها العنيدة والتي تغلب "لوك" – بمزيد من الجهد طبعا– على إثارتها له. فما كان منه إلا أن استطرد بصوت هادئ:

– هل أصابك أحد؟ هل جرحك؟ وهل هذا هو السبب الذي يجعلك مستعدة للهجوم والدفاع دائما ؟

أجابت ببساطة :

– أنا لست على خط الدفاع .

– بالتأكيد لا !

كانت تخفض رأسها غير أنه تمكن من ملاحظة أن الحمرة قد علت وجنتيها بعض الشيء .

– وإذا كنت دائما متأهبة للدفاع والصد فربما يكون هذا لأن هناك أمورا لا تخصك.

قال منتصرا :

– آه . آه ... !

– ما هذا الـآه .. آه؟

شعر "لوك" بأنه حصل الآن على نقطة .

رفعت الفتاة رأسها ملقية إليه نظرة احتقار غير أنها كانت تحتوي على الرعب الكامل، الرعب بلا سبب. يا إلهي! كم أنها جميلة!

كرر :

– آه آه . أحدهم جعلك تتألمين .

أخذ "لوك" بعد ذلك يلاطف ذقنها بأصابعه ثم شعرها الذي كان يكلل وجهها بهالة جميلة .

أخذ يتطلع إليها وهي تنظر إليه متأثرة وشفتاها منفرجتان... "لا تخشي شيئا لا تخافي مني.. .هكذا قال لها في فكره. أنا لا أبغي

إلحاق اي أذى بك" ...

كان "لوك" يرغب في تقبيلها أكثر من مرة لكن شيئا ما كان يمنعه .

نظر "لوك" إلى عينيها نظرة حنان قائلا :

- قبل أن تفقدي هدوءك اعتبري هذه القبلة التي سأمنحها إياك كعلامة لاتحادنا. كنت لا أستطيع تقبيل إصبعك بسبب صبغة اليود. هيا ننهي عملنا .

تابعته بعينيها، انفرجت شفتاها كما لو كان لديها شيء مهم تريد الإفصاح به له. انتظر حتى تكلمه لكنها ظلت صامتة، أيدت بإشارة من رأسها اقتراحه وقبلت يده الممدودة لها .

بدت هادئة على خلاف عادتها عندما قاما بتركيب الألواح الخشبية الأخيرة. ترى هل كانت متحاملة على حركته أم لأنه كان على حق بشان هذا الإنشاء الذي كانت عاجزة عن إتمامه؟

في الواقع، إنها كانت من هذا النوع من النساء الذي يتقبل قبلة ببساطة أكثر من فكرة الهزيمة غير أن "لوك" غير مبال بكل هذا حاليا. إن هدفه هو أن يقدم لها هدية، شيئا ما يجعل حياتها أسهل مما هي عليه.

قال وهو يتراجع لمشاهدة عملهما:

- حسنا، إنها فترة غير مفقودة.

وكأنه صبي يتنزه في "ديزني لاند"، من فرط ما كان لا يستطيع إخفاء سروره. وكانت "دليلة" تنظر إليه وهي تائهة في أفكارها، مسرورة صاحت :

- "لوك" ...

- هيا. أيتها "العيون الجميلة"، أقدم لك التشريف.

كانت قسمات وجهها مشدودة، فكر "لوك" في أنها لا تقبل الهزيمة، لكنه كان يفهم ما تشعر به "دليلة"؛ إذ إن كثيرين يجدون صعوبة في الاعتراف بأخطائهم .

وقد فرغ صبره قال "لوك" بلهجة الأمر":

- ليتنا نتأكد من أن العمل ناجح .

هزت "دليلة" كتفيها في خضوع ثم اتجهت إلى الحظيرة؛ لكي تفتح الحاجز الموجود في الطرف الآخر للممر... وكان "لوك" ينظر إلى هذا المشهد مشبكا ذراعيه وقد بدا عليه السرور .

بدأت شاة واحدة بالتقدم إلى الممر، ثم تبعها باقي المواشي لكن في تردد واضح. لكن عندما رأت المستطيل المظلم من باب المخزن أرادت العودة، غير أن عرض الممر كان لا يسمح لها بهذه الحركة. ثم مدفوعة بالمواشي الأخرى أصبح التراجع صعبا عليها. ولم يبق أمامها سوى حلين فقامت بالاختيار دون تردد.

فما كان من "دليلة" - قبل أن تنتظر رد الفعل عند "لوك" - إلا أنها جثت على ركبتها ونزلت تحت الألواح الخشبية التي كانت تحيط بالممر، فتبعتها كمية ليست بالقليلة من القطيع الذي كان لا يرجو إلا الهرب من الحبس.

وما هي إلا ثوان وإذا بحوالي ثلاثين من الحيوانات كانت تقفز في حرية وسط المرعى.

استطاع "لوك" رؤية "دليلة" من خلال الغبار الذي كانت تثيره الحيوانات أثناء هروبها. كانت واقفة بمفردها وسط الحظيرة، مشبكة ذراعيها على صدرها، ضاحكة من كل قلبها. كان "لوك" يتوقع في خجل تعليقات "دليلة". دار على عقبيه، انصرف إلى المرعى .. غير مبال بأغصان الأشجار التي كانت تلطمه على وجهه ولا بالخراف التي كانت تقطع طريقه .

اختفى خلف المخزن وما هي إلا بضع دقائق حتى وجد "لوك" كأنه من باب المصادفة جزءا من الكاربرتير في القش، مخفيا تحت سريره .

قفز إلى السيارة وساق مثل المجنون تجاه المدينة المضاءة حيث يستطيع إيجاد صحبة أكثر متعة، يتناول مشروبا بين الرجال.

أما عن "دليلة" فقد تبخرت ضحكاتها عند سماع صوت سيارتها التي ابتعدت. لم تكن في نيتها أن تسخر منه... لا بتاتا.

كانت لا ترغب في الإساءة إليه خاصة عندما غشي عليه أمام إصبعها المجروح. كان يتأثر لأقل شيء. لكن ما الذي حدث لـ"دليلة"؟

لم تكن في حياتها فتاة شرسة لكن ها هي الآن قد تسببت له في الألم وبطريقة لا تغتفر. أحست بأنها صغيرة، حزينة. كما لو كانت قد تركت شيئا ثمينا مهما يذهب نحو العدم.

على الأقل هكذا كانت تفكر في مزيج من السخرية والمرارة في الوقت الذي كانت تنادي فيه "ليدي" لتجميع القطيع. لم يعد مطلوبا منها أن تقلق عليه؛ إذ إن بعد ما حدث لا يمكن أن يعود رجل حازم مثله للتجربة مرة أخرى. لن يعمل على القيام بمحاولة أخرى.

لكن لماذا لم تشعر بالاطمئنان لهذه الفكرة؟ من العجيب أن "دليلة" لم تتساءل حتى عن كيفية تمكنه من قيادة السيارة المعطلة بهذه السهولة. كان هذا يبدو أمرا طبيعيا أن لا شيء يستطيع مقاومة "لوك ماك جريجور".. للمرة الثانية أنهت "دليلة" عملها على ضوء مصباح الغاز. حملت وعاء الحليب إلى المنزل وأعدت لنفسها ساندوتشا بما تبقى من اللحم، تناولته بكل حماس.

غير أنها كانت لا تجده بنفس الطعم اللذيذ الذي كان عليه بالأمس عندما تناولته في المرعى مع "لوك"..

قالت لنفسها: "لابد أنه سيعود؛ لأنه بالتأكيد لن يسرق سيارتها. بالإضافة إلى أنه ترك بعض حاجاته هنا من بينها طائرته".

كانت أمسية كئيبة، حزينة. كيف يستطيع المرء أن يقلق ويتضايق من أجل شخص لم يعرفه أكثر من يومين؟ هكذا كانت تتساءل.

تنهدت "دليلة"، شربت كوب الحليب. ثم أمسكت بالمصباح، كان الوقت متأخرا للقيام بمحاولة أخرى لقيادة المواشي إلى المخزن. لكنه كان مناسبا لزيارة القطيع قبل أن تذهب إلى فراشها.

رقدت كل الخراف في وداعة في الحظيرة طوال الليل. كل شيء كان على ما يرام والهدوء كان يسود المكان، ثم عند خروجها وجهت "دليلة" مصباحها نحو المرعى متخذة طريق المنزل وبعد قليل توقفت فجأة. شيء غريب كان قد شد انتباهها، شعرت بالقلق، فوجهت المصباح نحو المكان الذي صدر منه الصوت... ولم يكن سوى طائرة "لوك" أما عن الصوت فكان صادرا من شاة شاردة وجدت لنفسها مأوى في الهيكل ذي اللون البرتقالي.

سارت "دليلة" بخطوات حذرة حتى لا تخيف الدابة. كانت على بعد عشرة أمتار من الشاة عندما خرت هذه الأخيرة على ركبتيها، قبل أن ترقد على جنبها.

اقتربت "دليلة" منها وتعرفت على الوشم الموجود على أذنها وأنفها الوردي. رقم "٩٠٧" بالتأكيد! مرت بمصباحها فوق الشاة وعملت على الاحتفاظ بثباتها. ثم على ضوء المصباح الخافت رأت "دليلة" رأسا أسود صغيرا جدا وزوجا من الأقدام تخرج من الشاة، حسنا إن العملية- عملية الوضع- تتم جيدا. ثم في الاختبار الثاني، رأت زوجا من الأقدام لكن بلون أبيض هذه المرة. يحدث أحيانا أن صغار الحملان تتقلب في جيبها، لكن حاليا لا يوجد تفسير آخر. صغيران يحاولان الخروج في آن واحد، الثاني يمنع الأول من الخروج بقدميه الخلفيتين وبذلك يعرضه للاختناق.

حينئذ هزت "دليلة" كتفيها كعلامة ضيق؛ لأنها- بما أنها لا تقدر على نقل حيوان بحجم الرقم "٩٠٧" بمفردها- لن تتمكن من إنقاذ الصغار. آه، لو كان "لوك" هنا!

كانت الشاة مازالت مستلقية على الأرض وتبدو متألمة، كما أن "دليلة" كانت على يقين بأنه لابد من القيام بأي محاولة الآن أو لن يكون بعد ذلك.

وضعت المصباح على الأرض. جلست خلف الشاة، حاولت تحريك

الشاة. غير أن جهودها في إعادة الصغيرين إلى الداخل لكي تبعدهما عن بعضهما باءت بالفشل.

إن "دليلة" لا تتمتع بالقوة الكافية للإمساك بالشاة الأم ودفع الصغار إلى الخارج في آن واحد. كانت يائسة وسالت دموعها على وجنتيها من عدم القدرة.

فجأة سمعت صوت اقتراب السيارة، ثم توقفها وصوت الباب وهو يغلق.

صاحت:

– "لوك"!

غير أن باب المنزل قد أغلق. لم يسمعها "لوك".

قالت "دليلة":

– "لوك"، إني محتاجة إليك. أرجوك تعال...

ثم بطريقة إعجازية سمعت باب المنزل يغلق وصوته يناديها:

– "دليلة". هل أنت في الخارج؟ "دليلة".

استردت "دليلة" انفاسها وصاحت:

– من هنا يا "لوك"! بالقرب من الطائرة. إني... إني محتاجة إليك. من فضلك أسرع.... أسرع.

وكان صوتها يظهر ضيقها، في لحظة كان "لوك" بالقرب منها.

قالت له وهي تضع ذراعيها حول عنق الشاة:

– هنا يا "لوك". أمسكها قويا. إن بها اثنين في آن واحد، إني غير قادرة على دفعهما إلى الداخل... سأحاول إخراج أحدهما الآن...

ثم في اللحظة التي انتهت فيها "دليلة" من إنهاء كلامها حدث أن خرج وليد أسود من بطن رقم "٩٠٧"، عملت "دليلة" في الحال على توسيع فتحات أنفه؛ لكي يتنفس بسهولة ودلكته أيضا بقوة. خلعت بعد ذلك الـ"سويت شيرت" الذي كانت ترتديه ونظفت رأسه تماما ثم قالت لـ"لوك":

– اتركها، إنها لن تبتعد الآن. وجب أن أخرج الآخر قبل أن يختنق.

– وهذا الوليد؟

– لا تتركه ورجه بهمة وكأنك ستقذف به في الهواء، لكن أمسك به جيدا...

كانت "دليلة" قد عادت إلى الحديث معه بلهجة الاحترام، لا تكثر من الأسئلة، اعمل ما أطلبه منك من فضلك! هكذا قالت له:

– وما هي إلا ثوان وقد كان الحمل الثاني يتنفس الهواء النقي.

قالت "دليلة" بصوت منخفض:

– الذي معي سيخرج معافى وكيف حال الذي معك؟

خلال فترة صمت قصيرة كانت "دليلة" غارقة في دموعها تنتظر صوت "لوك" الذي قال:

– إنه يمص أصابعي. أعتقد أنها علامة طيبة أليس كذلك؟

أجابته ضاحكة قبل أن تبكي من الفرحة:

– نعم. لقد نجحنا يا "لوك"! لقد أنقذناهما.

صوب "لوك" المصباح عليها وأردف:

– يا إلهي! لقد تجمدت. أين بلوفرك؟

أجابته:

– حول الحمل.

سمعت بعد ذلك صوت سوستة تغلق فوجدت نفسها محاطة بسترة "لوك".

أرادت أن تعترض لكنها كانت تعاني شدة البرودة وكانت أسنانها تصطك ببعضها.

سألها:

– ماذا علينا أن نعمل الآن؟

في الواقع لم تكن تشعر بالبرد حاليا، لكنها كانت مازالت ترتجف، كانت تشعر بقشعريرة تسري بطول ظهرها.

بعد فترة قليلة قامت الشاة رقم "٩٠٧". وحينئذ أنصت "لوك" و"دليلة" إلى الموسيقى الهادئة الحنون التي كانت تدلل بها صغيريها.

تنهدت "دليلة" وابتسمت علامة الارتياح.

أخيرا تمتمت :

– لا شيء .

– لا شيء ؟

– ليس الآن. دعها تتعرف على صغيريها. بعد ذلك سنحملهما إلى المخزن وهي ستتبعهما .

– إذن، علينا أن نبقى في مكاننا الآن في الانتظار .

– هيه .....

تمتم وهو يتحسس أذنها :

– "دليلة" إنك مثلجة .

– لا. لا، أنا لا أشعر بالبرد. حقا لا أشعر بالبرد .

عمل "لوك" على ضمها إليه. لكنه لم ينجح في تهدئتها ثم قال لها :

– هيا أيتها الطفلة الصغيرة الوديعة...

أخذا يراقبان الصغار، إلى أن صاح "لوك" :

– شيء لا يصدق: لقد انتصبا على أرجلهما .

فتحت "دليلة" عينيها وضحكت لمشاهدته الساذجة .

– حقا ، ألا تجدهما رائعين ؟

– بالتأكيد. وتعلمين ماذا ؟

كان لصوته عمق مميز جعلها ترتبك. التفتت لكي ترى وجهه على ضوء المصباح. أخذ "لوك" وجهها بين يديه ولاطفه. تمتم بإعجاب :

– وانت أيضا سيكون لك هكذا.

ثم قبلها .

الفصل السابع

وكان هذا ما كانت تتمناه سرا، ما قد رغبت فيه في الواقع: أن يقبلها "لوك" .

كانت هذه الرغبة كامنة فيها بالرغم من أنها كانت لا تدري بها حقا. لقد تملكها أيضا إحساس رهيب بالحرية عندما وضع "لوك" شفتيه على شفتيها .

تنهدت "دليلة" أيضا إشارة إلى الخضوع عندما ضمها "لوك" إليه .

بدأت المودة تسود بينهما وهذا كان راجعا إلى مرونة "لوك". أما "دليلة" فكانت تتعمق في عينيه محاولة قراءة ما بهما، وكانت كلما عزمت على صده تجده أقوى منها، ذا تأثير قوي عليها. تأثير لم تعرفه من قبل .

أخيرا تمتمت :

– أنا لا أعرفك يا "لوك" .

– "دليلة"... لقد شاهدتني نائما فاقد الوعي، قمت بخياطة جرحي، دللتني، خلعت لي ملابسي، وتكرمت أيضا بغسلها... لقد تناولنا الإفطار معا، عملنا معا، ضحكنا لنفس الأشياء، لقد قدت سيارتك، وضعت ملابسك على الحبل.... و..... قبلتك.

ثم أضاف مبتسما :

– إننا كلينا أحببنا هذا بشدة. لو تمكنا من التعارف أكثر...

استطردت "دليلة" :

– يومان... كل المدة لا تتعدى يومين !

قدم "لوك" حججه غاضبا :

– وما هي قيمة الوقت فيما بيننا يا "دليلة"؟ إننا لم نكن غرباء الواحد

بالنسبة للآخر.

كان صدى هذه الكلمات يتردد في الليل. أبدت "دليلة" رغبتها في الجلوس... أخذ "لوك" يفكر في سكون الليل، لماذا كانت تقاومه بكل قواها؟ لماذا كانت خائفة منه؟ لماذا..؟ علما بانه يشعر تماما بانها تشعر بما يشعر به هو أيضا بجاذبية الواحد للآخر ؟

قال لها "لوك" :

– ماذا تريدين يا "دليلة" أن أعمل؟ أن أتصل بك هاتفيا لتحديد موعد؟ آه ليس لديك تليفون! أترغبين في الذهاب إلى السينما؟ أن نتعارف على الأريكة الخلفية في سيارتك؟ عفوا! لقد غفلت عن انه لا يوجد مقاعد في سيارتك... أم ماذا؟

هزت رأسها علامة عدم استحسان قوله ثم قالت :

– لم يكن هذا قصدي !

واصل كلامه بلطف :

– "دليلة". لست أدري أهي حادثة أم انه القدر الذي ألقى بي على أراضيك ...

– أنا لا أعتقد ذلك .

– إذن فهي حادثة. هل يجب علينا إنكار ما يحدث لنا فقط لأننا لسنا مسؤولين عنه؟ إننا لم نعد أطفالا يا "دليلة". أينبغي حقا القيام بهذه اللعبة الصغيرة ؟

تمتمت بصوت منخفض:

– أنا لم أحب اللعب طول حياتي .

– حسنا، إذا كنت أعلم ما أريد وأنت ...

– لكن ليس أنا! أنا لا أعرف ما أريد !

ظل صامتا لحظة. ثم ارتجفت "دليلة" ثانية من رطوبة الجو، اقتربت الحملان منها وهي تثغو (تمامئ) وكأنها عرفت منقذها .

استطرد "لوك" :

– اتفقنا. سأنتظر حتى تعلمي ما تريدين .

أخذت "دليلة" أحد الحملان بين ذراعيها؛ لأنه كان لا يرغب في الابتعاد عنها، وعملت على تدفئته بوداعة .

رفعت "دليلة" بعد ذلك رأسها نحو "لوك" ووجهت إليه أخيرا السؤال الذي كان يحيرها منذ يومين :

– لماذا ؟

انتظرت الإجابة المعلقة على شفتيه، غير أنه بعد لحظة تردد أخذ يضحك ثم قال لها :

– إن كنت أعرف الإجابة فهي أني أرغب في الذهاب إلى الجحيم! لقد سحرتني، لقد سرقت لبي، لقد أثريتني يا "دليلة بومنت" أينبغي أن أستمر ؟

عملت "دليلة" على السيطرة على مشاعرها وأجابت :

– لا . إذن ساعدني على إعادة هذه الحملان إلى المخزن من فضلك .

قال ساخرا :

– رغباتك أوامر يا رئيسة، وإذا رغبت في أي شيء آخر فأنا هنا، لأني معتزم السكن هنا إلى أن تستيقظي وتستمعي قليلا إلى رغبتك النائمة...

*****

بعد أن أطال "لوك" الحديث مع "بيتي"، ظل في الطائرة لكي يدخن سيجارة وهو يتأمل النجوم. لماذا؟ إنه السؤال الذي وجهته إليه "دليلة". كانت شخصيتاهما تتضاربان وأكثر من ذلك لم تكن الفتاة من النوع الذي يحبه، إنه يحب الفتيات الفارعات، الشقراوات، البسيطات، فتيات ذهبية مثل أشعة الشمس والمرح باد في عيونهن غير مهتمات بطريقة حياتهن. أما هي فهي سمراء صغيرة وكان لها طابعها الخاص، كانت في أغلب الأحيان تواجه المرارة والمتعة مثل محارب شجاع .

ومع ذلك كان لها تأثير عليه، لقد سحرته وكان لا يستطيع تصديق

أنه يرغبها بشدة. هل كانت جميلة؟ لم يدفعه فضوله إلى التحقق من ذلك، كان لا يعرف عنها إلا أن اسمها "دليلة" وكان هذا كافيا ..

لم تكن كما كان يتوقع... إن الأمور لا تسير كما كان يتمنى... أن يتمنى فتاة فهذه ليست مشكلة في حد ذاتها، لكن هذه المرة لقد أثارت رغبته تعقيدات دافعة إلى بعيد الهدف النهائي .

كان عاجزا عن معرفة إلى أي مدى ستصل بهما الأحداث .

تملكه خوف فجائي، نفس الإحساس الذي اعتراه عندما شعر بأنه مضطر إلى الهبوط على مرعاها، مرة أخرى خشي أن يفقد توازنه .

*****

تمطت "دليلة" تحت غطائها الهندي الذي كانت تستخدمه كمفرش للسرير، مرة أخرى رائحة تحميير؟ لا إن الرائحة أقوى بكثير هذه المرة، وعندما استنشقت رائحة القهوة فتحت عينا ثم الأخرى.

قال لها "لوك" :

– صباح الخير، لقد أشرقت الشمس.

ثم ولج إلى الحجرة حاملا صينية عليها وجبة إفطار لذيذة، ألقت إليه بنظرة استفهامية، وضحت صوتها ثم أردفت :

– الإفطار... في السرير ؟

جلس "لوك" بالقرب منها على السرير. وضع لها طبقها على بطنها ثم مسح الحجرة بنظرة ثم قالت له :

– ليست بالفكرة السيئة وإن كان الجو هنا باردا أكثر مما هو عليه في المخزن .

نظر "لوك" إليها ثانية. كانت في هذه الأثناء تقول في داخلها: "يا إلهي. كم أنه جميل !" كانت قد غفلت في الليلة السابقة في الظلام عن مدى جاذبيته. أخرجت ذراعها من تحت الملاءة ولمست التوست بإصبعها .

سألها وهو يقطب حاجبيه :

– هل تنامين دائما دون أن تبدلي ملابسك؟

غمست "دليلة" إصبعها في إناء صغير ورفعته إلى شفتيها :

قالت وهي تغمض عينيها :

– عصير لذيذ !

ثم تساءلت: "لماذا يا "لوك"؟ لماذا تعمل كل هذا من أجلي؟"

– هيا. تناولي الشوكة .

كان صوت "لوك" عذبا... أغلق أصابعه برقة حول معصم "دليلة" التي عندما فتحت عينيها رأت أنه يراقب باهتمام حركة لسانها وهو يتلذذ بالعصير .

غير أن "لوك" كان يبدو متعبا هذا الصباح؛ إذ كانت تجاعيد خفيفة تحيط بفمه، وكانت أيضا عيناه تبدوان متعبتين وكأنه لم يأخذ قسطا كافيا من النوم .

ثم نقضت حكمها، إنه شيء آخر، إنها الطريقة التي يتطلع بها إليها، هذه الطريقة التي لم تلمحها عشية أمس بسبب الظلام .

وكانت "دليلة" – قبل هذه الليلة الشهيرة التي قبلها فيها– تشعر بأنه يقوم بلعبة صغيرة ببراعة. لعبة يعشقها، لكنه لا يتقنها ولا يقوم بها بجدية؛ لذلك فهي كانت تشعر بأنه في حالة ما يقبلها الآن لن تكون هذه القبلة بمثابة لعبة... لكنه لم يفعل شيئا، تساءلت "دليلة" عما إذا كان هذا الألم الذي شعرت به في قاع معدتها يدل على الاطمئنان أم على خيبة الأمل .

اقترب "لوك" منها وأمسك بيديها، ثم أجلسها على السرير. حينئذ عندما اقترب جسمه منها شعرت بأن جو الحجرة لم يعد باردا .

ثم قال مشيرا إلى كفيه :

– وكيف تبقى يدي ناعمة؟ انظري إلى الجراح. كل هذا بسبب عملك...

تألمت "دليلة" لما شاهدته على يديه وندمت على ما أبدت نحوه من سخرية بالأمس. ثم تنهدت في مودة ووضعت يديها على يديه وأجابته:

– إنها الخراف .

– الخراف ؟

– ألم تكن تعلم إن العناية بالخراف تحتفظ لك بنعومة اليدين ؟

– وكيف تفسرين هذا السر ؟

– "لانولين" .

– "لانولين" ؟

تمتمت :

– وألا تعلم أيضا أن "اللانولين" تأتي من صوف الخروف ؟

– مدهش ....!

ثم أمسك "لوك" بالشوكة، غرسها في قطعة توست .

– هيا افتحي فمك.

كانت "دليلة" مازالت نائمة، لذلك لم تعارض أوامره؛ لكنها اعترضت بعد أن مضغتها فقالت :

– إنه بارد .

– ومنذ متى تتضايقين لذلك ؟ هل أنت مستعدة للتسخين ؟

– لا... أنا لا .

بابتسامة رائعة تمتم "لوك" :

– ميام ميام. ها هي "ماما العصفورة" تأتي وبمنقارها أشياء لذيذة...

فوجئت "دليلة" بأنها أخذت بضحك جنوني، وضعت يدها أمام فمها؛ لكي تضع نهاية لذلك وتهرب من "ماما العصفورة" .

قالت في اعتراض :

– يا سيد "ماك جريجور" إنك لا تقيم هنا للقيام بإطعامي !

انتظر "لوك" لحظة وهو يرفع حاجبه والشوكة مصوبة إلى السقف .

– ولم لا ؟

– لانك... لأنك تجعلني عصبية .

لمع شعاع رضا في عيني "لوك" وأعاد الشوكة إلى مكانها .

سألها ملحا :

– ولماذا إذن؟ ولماذا أجعلك عصبية ؟ لماذا؟ أوه! يا إلهي !

فكانت عصبيتها هي التي أتت بالإجابة :

– لأنك جميل جدا !!

أصدر "لوك" صوتا غريبا من حلقه ومال فجاة لكي يضع الصينية على الأرض. تأثرت "دليلة" بذلك؛ لأنه كان بالنسبة لها مخلصا وخاصة حاجزا بينهما .

أحست حاليا بانها قابلة للانجراح أكثر من الحمل المسكين في مواجهة معتد .

سلك "لوك" حلقه، شبك ذراعيه ثم أطال النظر إليها وسألها :

– أنا ... ماذا ؟ جدا .

تساءلت "دليلة" في مرح عما إذا كان "لوك" سيخجل وإذا كانت الحمرة ستعلو وجهه، كانت هذه الفكرة تشغلها إلى حد قد زاد من شجاعتها، فما كان منها إلا أن اندفعت في تأكيدها الغبي قائلة :

– جميل، ساحر. هل تعلم معنى ذلك ... أعتقد أنك لابد أن تكون قد أيقنت ذلك ..

مر بيده على عنقه كمن لحق به الحرج ولا يعرف كيف يجيب أو بم يجيب، أما "دليلة" فكانت تسر كل مرة يبدو فيها الحرج على "لوك" .

تقطب جبينه وكأنه صب كل اهتمامه على محاولة فهمها. ثم أردف:

– وهل هذا يزعجك ؟

– نعم هذا يزعجني. إني آسفة لذلك، لكن لا حول لي ولا قوة فيه .

– تقصدين أنه ربما كنت تجدين راحتك أكثر لو كانت عيني أضيق، أنفي أكبر وأذني مفلطحة .

– آه... نعم .

بدأ يلاطف وجهها، وكانت "دليلة" تحاول الاحتفاظ بهدوئها .

سألها :

– ماذا تشاهدين عندما تنظرين في المرآة يا "ذات العيون الجميلة" ؟

فحصته ثم قالت :

– لا أدري... لا أرى سوى ... نفسي .

– وأنا أيضا، وليست هذه السنتيمترات إن كثرت أو قلت التي ستغير من شخصيتي.

وهكذا كانت الأقوال المأثورة القديمة في صالحها. "الجمال ما هو إلا أمر سطحي. الجمال مساله ذوق. غير أنها في الواقع كانت "دليلة" لا تعتقد في أي من هذه الكلمات .

كان "لوك" هذا الوجه دائما ولابد أن يكون قد تلقى بعض العناية من أجل ذلك، ولا غرابة في كونه قد استطاع الدخول إلى حياتها بكل سهولة. لكي يمسك هكذا بالموقف بيده .

"سانتظر" . هكذا كان قد قال بثقة في النفس لا تتزعزع .

قالت "دليلة" في اعتراض :

– لكنني لا أعرف شيئا عنك .

ولما حاول "لوك" الاستمرار في اكتشافاته، كأنه يمر بيده على عنق "دليلة" ضاقت به وصاحت :

– لا تتصرف هكذا. لا تعمل هذا !

– لا أعمل ماذا ؟

– إنك لا تكف عن لمسي أو على الأقل محاولة القيام بذلك .

– وانت، لا تحبين ذلك ؟

– بالضبط !

– خطأ. وهذا هو ما يزعجك، أليس كذلك يا "ذات العيون الجميلة"؟

مال "لوك" بعد ذلك عليها بمزيد من الثقة في النفس، الأمر الذي جعل "دليلة" تلتزم الصمت.

استطرد :

– واضح تماما، أنك تحبين هذا. وفي إمكاني قراءة ذلك في عينيك .

من ضيقها أنت "دليلة" واستراحت على وسادتها. غطت وجهها بالملاءة، ثم صاحت من مكانها :

– حسنا هكذا يا سيد "ماك جريجور" أم أحلف لك ...

انطلق "لوك" في الضحك ثم نهض تاركا فراغا عجيبا بعد انصرافه "ألم يكن في إمكانه البقاء بالقرب مني ساكنا دون أن يضايقني؟" هكذا كانت تتساءل .

إنه شخص أكثر من أن يكون واثقا بنفسه، إنه مغرور... ظنت أنه انصرف. فاخرجت رأسها خارج الغطاء .

كان مازال واقفا على عتبة الباب. قال بنبرة مزاح :

– أي خدمات يا رئيسة"؟ كان ينبغي أن تدرسي جديا الأسباب التي من أجلها أودعتني في المخزن .

– الأسباب؟ إنه تعبير أقوى ..

– غير عادلة! مع ملاحظة أنه ليس لديك أغطية كافية لتدفئة سريرك...

– غير عادلة؟ بعد تلك الليلة؟ التي فيها كنت تحاول تقبيلي كل مرة أقترب منك؟ على كل حال إنك محظوظ بقبولي بقاءك هنا !

– أحاول تقبيلك ؟

ولقد نطقت هذه الكلمات الأخيرة بصوت خافت... وإذ تذكرت "دليلة" أين هي ابتلعت ثورتها، كفت عن الغضب وعن النظر إليه. كانت تشعر بأنها في قبضة يده وقد يكون متهورا، وقع بصرها –بالمصادفة– على الصينية الموضوعة على الأرض وساورتها فكرة قذفه بها على وجهه .

كان "لوك" يتابع نظراتها، ثم نظر إلى وجهها. هز رأسه في حزن، ثم

ابتسم لها بطريقة مثيرة جعلت "دليلة" عاجزة عن مقاومة التجربة. كان السبب الوحيد في إشباع رغبتها هو فقد الفرصة وبالتالي جعل الكلمة الأخيرة له وأيضا أن يسخر منها...

عندما انصرف "لوك" مخلفا من بعده إحساسا غريبا عند "دليلة" وفي المكان كله فكرت في أنه يجب عليها العثور على أغطية أخرى... لكن لم يخطر على بالها- كحل لكل مشاكلها- أن تطلب منه الرحيل من عندها...

وما كان أجمل منظر الحملين في عزلتهما في المخزن وهما يرضعان من أمهما!

أعدت "دليلة" الحقنة المحتوية على المضاد الحيوي اللازم وانتظرت حتى يفرغا من تناول وجبتهما... وإذا بـ"لوك" يحضر ويضع يديه على كتفي "دليلة"؛ انتفضت لكنها لم تقم بأي حركة لإبعاده عنها. أو أن تتحرر منه. ربما تعتاد تكرار لمسه لها، هكذا فكرت. الأفضل تحاشي الخلافات والتشاجر، ومع ذلك كان من الأسهل أن تدبر له ظهرها وإلا تكون أمام ابتسامته الملعونة هذه.

- شياطين صغيرة محبوبة. لقد منعتني من النوم طول الليل.

فكرت: "قبلني ثانية، إن أفكارنا تعلمنا أشياء كثيرة عن نفسينا. لقد أفاقت "دليلة" لهذه الفكرة. "لوك" لم يقبلها ومن جانب آخر، لقد شبع الحملان حاليا، أمسكت بالحقنة واتجهت نحو الأم لكي تقوم بحقنها؛ لكي تتجنب أحداثا ممكنة قد تنتج عن هذه الولادة المستعجلة.

ثم بعد أن أتمت واجباتها الصباحية تركت "لوك" يصلح بعض التلفيات البسيطة، واستقلت سيارتها لكي تنزل إلى المدينة حتى تستعير أغطية من "مارا- چان".

وعلى طريقها قابلت سيارة نقل تحمل معدات ورشة.

ساورتها فكرة مظلمة. "قد يبدو أنهم قرروا أخيرا إنشاء هذه القناة في "دير كريك".

الفصل الثامن

عندما وصلت "دليلة" عند "مارا-چان" بدأت تفصح لها عن كل ظروفها مع "لوك ماك جريجور". وإن كانت الفتاة غير معتادة الإفصاح عن أسرارها لأحد إلا أنها كانت تشعر بالتحسن وبالارتياح؛ إذ إنها استطاعت التحدث مع من تحب.

قالت لها "دليلة" أخيرا قبل أن تنصرف:

- آه لو لم يكن بهذا الجمال! تخيلي نفسك ومعك- دائما من خلفك- رجل قد يصعب عليك النظر إليه دون أن يسحرك...

نصحتها "مارا - چان":

- اعملي على جعل جماله نوعا من الموازنة، أعدك بأنك بعد قليل لن تنظري حتى إليه بعد.

إن أول ما شاهدته "دليلة" عند عودتها كانت مساحة أرض- عبارة عن شريط عريض - قد قلبت حديثا، كانت تبدأ من المنزل وتنتهي عند المخزن. لم يكن لـ"لوك" أي أثر، غير أن صوت الشاكوش كان يسمع من خلف المخزن. ثم حدث بعد بضع لحظات أن وقفت "دليلة" مستندة إلى باب المخزن وهي تراقب "لوك" في صمت.

كانت فترة ما بعد الظهر حارة ومشمسة، وكان يعمل عاري الصدر، كان العرق يتصبب منه بغزارة. فجأة رغبت "دليلة" في الانصراف؛ لأنها كانت لا ترغب في الاسترسال في النظر إليه، لكن... لقد فات الأوان، قال لها:

- سلام يا رئيسة.

كان ينظر إليها بقليل من الثقة وهو يمسح جبينه بذراعه، تراجع لكي يترك لها فرصة تأمل التطورات التي طرأت على ممر الخراف.

– إذن. ما رأيك؟ ما رأيك فيما قد شاهدت؟

كانت غير قادرة على التفكير، كانت تشعر بالخجل، بالغضب، بالصدمة... غير أنه يبدو أن أفضل حل هو الغضب والثورة :

– لكن، ما الذي أنت جار العمل فيه الآن؟ لقد انصرفت وكنت قد كلفتك بالقيام بعمل معين !!

هز حاجبيه لكنه اكتفى بالرد عليها في هدوء :

– لقد عملت على الاهتمام بالتبن. كومة التبن معدة في المخزن ولم أحتفظ لنفسي إلا بالقليل لفراشي .

تناول قميصه المعلق على غصن شجرة واتجه نحو "دليلة"، توقف بالقرب منها، اقترب أكثر حتى إنها استطاعت رؤية قطرات العرق المتساقط من على جبينه .

سألته :

– هل اشتريت كل هذه المعدات ؟

كانت لا تعرف أين توجه نظرها. على كل حال، بالتأكيد ليس على وجهه؛ لأن عينيه كانتا تحتويان على وعود.

كان "لوك" يتمتع بالنشاط والحيوية والقدرة، الأمر الذي يجلعها تشعر بضآلتها وقابليتها للانجراح .

– كيف استطعت إنفاق هذا المبلغ بدون تصريح مني؟ لقد أعلمتك أني غير قادرة.

أجابها وهو يشبك ذراعيه :

– إنها نقودي .

– إنها مزرعتي!

– إذن، لنقل إنها سلفة. وأرجو أن تسدد بالفوائد .

صاحت :

– ألا تعتقد أنه كان ينبغي أن تسألني قبل التنفيذ؟ لا أريد سلفة، ولا أرغب في دفع الفوائد، ولقد فاض بي منك.

اخرج من مزرعتي! اخرج من حياتي! وكيف تصرفت حتى إنك قلبت الأرض هكذا؟

وضع الشاكوش في أحد جيوب بنطلونه الجينز، أمسك بذراعها واقتادها إلى المخزن. "إنه ثائر". هكذا فكرت "دليلة". كان ذلك واضحا من عنف حركاته وكذا من قبضة يده على ذراعها، كيف يحدث أنها لم تلاحظ خشونته وفظاظته قبل الآن؟

لقد بدأت مخاوفها تتأكد للمرة الأولى لكن من كان هذا الرجل؟ قد يكون معتوها... كان عبارة عن وحش! كان "لوك" قد حرص على إخفاء طبيعته الحقيقية خلف ابتسامته الملائكية وسحره المؤثر....

كانا قد اجتازا المخزن واقتربا من الباب الرئيسي وفجأة دفعها "لوك" إلى الحائط بيد قوية. أنت "دليلة" وأغلقت عينيها .

قال ثائرا :

– افتحي عينيك، سأريك كيف قضيت وقتي.

ثم بضغطة خفيفة على المفتاح الكهربائي. فتحت "دليلة" عينيها وبالرغم مما كانت تتوقعه أطلقت صيحة ذهول .

كان المخزن غارقا في موجة من النور صادرة من مصباح أزرق مثبت في السقف، وكان يمتد من هذه الإضاءة كابل مغطى بالبلاستيك إلى أن يصل إلى علبة معينة على الحائط بالقرب من "دليلة" .

ولم يكن هذا هو كل شيء، وكانت على الحوائط الموازية مفاتيح للتحكم في التيار في كل حظيرة وفناء.

قال موضحا :

– الكابل الكهربائي تحت الأرض ومتصل بصندوق التغذية .

هزت "دليلة" رأسها غير مصدقة، استبدت بها الثورة محطمة قواها الجسمانية والنفسية أيضا والمعنوية .

وأخيرا تمتمت :

– أنت... أنت قد قمت بعمل كل هذا في الصباح ؟

– عندما نزلت إلى المدينة مساء أمس توجهت إلى صديقك "روي" أوصيت بهذه المعدات، وقمت بالتنفيذ هذا الصباح .

– لماذا يا "لوك" ؟ لماذا قمت بكل هذا ؟

– لماذا؟ ماذا بك حتى تسألي دائما لماذا ؟

كانت تستطيع اكتشاف شعاع ثورة وغيظ في نظراته .

واصل "لوك" كلامه :

– لقد وضعتني في هذا المخزن الملعون بدون إضاءة ولا تدفئة، على الأقل كنت في احتياج إلى مفتاح تشغيل كهربي. اتفقنا ؟

وقفت "دليلة" صامتة فريسة تأثر قوي .

– يا إلهي! أكان واجبا علي يا "دليلة" أن أستأذنك لكي أقدم لك مفاجأة؟ إن ما كنت أبغيه بالضبط هو مساعدتك؛ لأني مدين لك بالكثير. مدين لأجل ....

– إنك لست مدينا بشيء! أنا لا أريد شيئا لا أريد عونا؛ لأني لست في احتياج إليه !

– قد يدهشني !

– أنا... لا أريد... عونا؛ إذ وجب أن أتصرف بمفردي. هل في وسعك وضع ذلك في الاعتبار ؟

ثم تبادلا النظرات وكل منهما غير قادر على التنفس .

– اسمعي هذه المعلومة! ليس من يحيا بمفرده. لا أحد. لا يوجد إنسان وقد يكون له جزيرة بمفرده .

– أنا قوية مثل الصخرة. أنا ...

أردف "لوك" مازحا :

– "سيمون" و"جارفونكل". إنك تذكرينني بتلك الأغنية التي تردد بعض المعاني مثل: إن الصخرة لا تشعر بالألم ، والجزيرة لا تبكي أبدا !

– دعني .

كانت نبراتها غريبة، تعبر عن الخوف، وقد يكون احتمال إثارة... عدم صبر... على رؤيته، يقوم بمحاولات غريبة...

ثم تساءلت فجأة عما سوف تؤدي إليه خلافاتهما المتبادلة ومشاعر الحقد التي تسود بينهما. كان "لوك" – عدا ملامسة ذقنها بطرف إصبعه– لا يلمس "دليلة" .

قال لها :

– إن دوام الحال من المحال. إذ وجب أن تتألمي مرة وأن تبكي أحيانا .

– د... دعني ...

– إنك لست صخرة يا "دليلة بومنت". كيف أعرف ذلك؟ لأنك– وهو ما لا يمكن إنكاره – محتاجة إلى أحد معك. إنك محتاجة إلي .

– أنت !

– نعم أنا ! أعلم جيدا أنك لا ترغبين في تصديق ذلك... لذلك سوف أعمل على إثباته لك...

ثم مال بهدوء برأسه على "دليلة" التي فهمت نياته بوضوح.

. قالت معترضة:

– لا .

– بل، نعم !

وكان بعد ذلك– بالرغم من ابتعاد "لوك" عنها– أن "دليلة" بدأت تشعر بميل قوي إليه ثم– وهي التي كانت قد عزمت على عدم التطلع إلى وجهه عملا بنصيحة صديقتها– وجدت نفسها تتطلع إلى وجه "لوك" .

انطلق هذا الأخير في الضحك، فما كان منها إلا أن أطلقت تنهيدة تعبر عن عدم الاستحسان والغيظ .

أغمضت "دليلة" عينيها بعد ذلك لكي تفتحهما من جديد كمن أفاق من حلم غريب .

استطرد "لوك" بجفاف :

– إذن! لا تخبريني بأنك لست محتاجة إلي .

– قذر ...

هكذا بدأت لكنه أمرها بالتزام الصمت بوضع إصبعه على فمها ثم قال لها :

– ها ها . انتبهي! إنها ليست الطريقة التي ينبغي أن تخاطبي بها الرجل الذي سوف يصبح حبيبك عن قريب . ذات يوم ...

ألقى إليها بقبلة مبديا ابتسامته الملائكية ثم غادر المخزن، وقعت "دليلة" فريسة مؤثرات عنيفة . لقد أخضعها وكسبها !

*****

اخترق "لوك" المرعى متجها مباشرة نحو ما تبقى له من طائرته، لقد لاحظ أن مدة إهماله لها قد طالت متسائلا كم من الوقت سيتركها هكذا مثل الدمية المكسورة .

هبت نسمة ريح خفيفة، لكنه لم يتغط في الحال، كان محتاجا إلى تلطيف أفكاره . كان "لوك" غير فخور بنفسه، لم يسبق له القيام بمثل هذا التصرف من قبل لكنه لم يصادف أيضا أحدا مثل "دليلة" ؛ إذ كانت المرة الأولى التي استطاعت فتاة أن تذهب بعقله .

اختفت الشمس خلف أحد الجبال ونتج عن ذلك أن المرعى قد حرم من أشعتها المفيدة ... في نفس اللحظة تقريبا سمع صوت باب المنزل وهو يغلق .

عندما شعر بالبرد يمتلكه أغلق أزرار قميصه، غير أنه كان مرتبكا، فكر في الاتصال بـ"بيتي" لكن ربما تكون البطاريات قد تلفت ... على العموم سيرى هذا الأمر في المدينة .

نظر إلى ساعته، كان أمامه وقت كاف للتوجه إلى المدينة، قد يكون من دواعي الدهشة أن تعفيه "دليلة" من أعمال المساء . في الحقيقة لم تكن لديه رغبة قوية في التحدث إلى "بيتي" . كان لا يرغب في تناول

موضوع المستقبل القريب، تقارير عن الاجتماعات أو عن القاضي العنيد الذي يدعى "أندرو بومنت" .

فجأة رفع "لوك" قبضة يده وضرب جناح الطائرة بعنف، في أي موقف يصعب الخروج منه قد انغمس؟ أين دور ملاكه الحارس، الذي يتواجد دائما خاصة عند الضرورة ؟

مع ذلك قد يكون محتاجا إلى نصيحة جيدة .... وبسرعة .

سيطلب "بيتي" .... غدا .

الفصل التاسع

كان الممر المعد للخراف كافيا للاستعمال- هكذا قالت لنفسها، لم تكن هناك وسيلة أخرى لقيادة المواشي من الحظيرة إلى المرعى. كانت "دليلة" ترتبك لفكرة أن هذا الممر سيكون دوما أمام عينيها شاهدا لجهود "لوك".

لكن ما الذي دهاها؟ لماذا هذا الارتباك ؟

أصبحت تتصرف مثل طفلة، طفلة - بالرغم مما يمكن القول عنها - كانت في أمس الحاجة إلى مزيد من الحب والحنان. هل كان حقا هذا هو هدفها الوحيد: أن تكون محبوبة ؟

كانت تطمئن نفسها بقولها في داخلها إنه توجد أيضا مزرعتها، خرافها. لقد عملت كثيرا، حصلت على العديد من الامتيازات ...

ما الذي قالته لها "مارا - جان" هذا الصباح؟ إنه كان عليها أن تتبع أحاسيسها، لكن أي أحاسيس، إن "لوك" يربكها إلى حد كبير. اتفقنا- هكذا اعترفت- لقد انجذبت له! لكن لم يكن هناك حب من جانبه بالتأكيد. عما كانت "مارا - جان" تتكلم؟ أعن الحب العابر أم عن الحب الأبدي ؟!

كانت "دليلة" تفكر- أثناء عنايتها بالرقم "٩٠٧" وبصغارها أيضا- ما الذي سوف يحدث إذا رفضت الحب على هذه الصورة، هي التي كانت تفضل استقلالها ؟

وعند عودتها إلى المنزل قابلت "لوك" متجها نحو المخزن، حاملا كوثرتة تحت ذراعه وبيده مصباح كهربائي.

قال بصوت جاف :

- يوجد "يخني" على البوتاجاز، لقد فكرت في أنه في حالة ما

يكون عندك مزيد من العمل- في الأيام المقبلة- سيكون من السهل لك أن تقومي بالتسخين، يوجد أيضا سلطة في الثلاجة .

- شكرا .

- إذن إلى صباح غد .

- نعم، طاب مساؤك .

باللسخرية! كان المدعو الوحيد في حوالي ثلاث سنوات وبالضبط. ضبطت المنبة لمنتصف الليل .

كانت "دليلة" معتادة ترك فراشها الدافئ لكي تواجه الليل المظلم، وعندما دقت الساعة وجدت صعوبة في النهوض؛ كانت تشعر بانها ضعيفة ومذهولة .

كان المخزن ساخنا ورطبا بالرغم من النوافذ المفتوحة... خلف الصوت الذي كانت تصدره الحيوانات سمعت تنفس "لوك" الهادئ وهو نائم. لم تضئ المصباح، استخدمت مصباح الغاز لزيارة الشاة وصغيريها، متجنبة بحرص الركن الذي كان يستريح فيه "لوك"، غير أنها عجزت عن مقاومة التجربة والتفتت نحوه في تلقائية .

"إنه جميل حتى وهو نائم" هكذا قالت لنفسها .

"لا" ! هكذا صاحت في داخلها، محاولة تحويل عينيها عن هذا الرجل النائم مثل صبي صغير: كان يرقد على ظهره، إحدى ذراعيه إلى جواره بطول جسمه والثانية مثنية تحت رأسه، وكان الغطاء يصل حتى كتفيه.

وقفت "دليلة" تتامل "لوك"، من خلفها أخذت شاة تدفع باخواتها وتفزعها، صوبت الفتاة مصباحها تجاهها وكان قلبها يخفق لئلا تؤخذ متلبسة في فعلها .

غير أن حركة الحيوانات لم تستمر سوى ثوان وبعد أن قامت بجولة في المخزن تاهبت للخروج.

تمتم "لوك" :

- كم الساعة يا "دليلة" :

– أعتقد أنها بعد منتصف الليل بقليل، الساعة ليست معي .

– ومتى ستكون الزيارة القادمة ؟

– حوالي الساعة الثالثة .

– سأقوم أنا بها .

– لكن ليس لديك منبه !

– ساعتي في يدي. قاربي النور ثانية .

"يا إلهي! هكذا فكرت، هل كان مستيقظا عندما وصلت؟" ترى هل رآها وهي تتأمله ؟

– أخبريني عما يجب علي القيام به .

– لو حدث أي شيء كان فتعال عندي وأخبرني به.

وهربت ...

لم تعرف كم من الوقت استغرقت في طرد الارتباك الذي اعتراها وكم من الوقت قضت في انتظار النعاس، لكن عندما استيقظت كان النهار قد تقدم فعلمت أنها تأخرت في النوم .

كان أول من فكرت فيه هو "لوك"، ثم قالت في نفسها لابد أن الخراف بخير مادام لم يأت إليها .

قفزت من السرير، ارتدت ملابسها وأسرعت إلى المخزن، دون أن تتناول إفطارها. توقفت أمام الباب لكي تسترد أنفاسها. كان "لوك" هو الغالب دائما عندما كانت تفقد استقرارها، لكن في هذه المرة ستكون هادئة ومستقرة. بعد كل شيء إنه لا يتعدى مساعد مزارع لا أكثر ولا أقل .

قال لها "لوك" عندما رآها تدخل :

– تعالي إلى هنا .

أطاعته "دليلة"، موشكة على الانفجار من الغيظ، كان في إحدى الحظائر يرقد حملان بالقرب من أمهما عرفتها "دليلة" في الحال، إنها "أولد بلوسوم" شاة مع التطعيم منذ البداية، كانت شاة حكيمة، مسنة

ووديعة .

أردفت "دليلة" وقد سيطرت على ثورتها :

– إنك لم تنادني .

– وجب أن أقول إني لم أجد داعيا لذلك، إن هذه الدابة العجوز لم تحتج إلى أحد.

كانت "دليلة" تنظر إليه. كانت لهجته مثل صوته تبدو ودية، شعرت بإحساس جديد : أمن الممكن أن تكون الغيرة؟

– كانت قد وضعت الأول قبل أن أستيقظ في الساعة الثالثة، وكان كل شيء يمر بطريقة عادية، انتظرت وأنا أراقبها، والثاني خرج بعد حوالي ربع ساعة. لم تكن هناك أي مشاكل .

تنهدت "دليلة" ودخلت إلى الحظيرة، فحصت أولا "أولد بلوسوم" ثم التفتت نحو الحملين النائمين .

استطرد "لوك" موافيا إياها بما حدث :

– لقد رضعا كلاهما. كما أني قمت بمس الحبل السري لكل منهما بصبغة اليود .

سألته :

– هل قمت بعملية غيار ...

– كل منهما. الأنثى كانت الأولى غير أني أعتقد أن الذكر أكثر بدانة منها .

فركت "دليلة" يديها ونهضت ببطء. أضافت :

– إنهما جميلان .

– لقد أعطيت قليلا من الماء والتبن إلى الأم، كان واضحا أنها تعاني العطش .

– إن الإناث – عادة – تحتاج إلى الماء بعد الولادة؛ إذ إنها تشعر بالعطش. شكرا جزيلا.

لقد قام "لوك" بما كان ينبغي عمله بالضبط، ألقت إليه نظرة عرفان

بالجميل وأرادت أن تنصرف، وضع "لوك" يده على عنقها برقة لكي يستوقفها .

بدأ قلبها يخفق، تنفست بعمق ثم قالت :

– كنت أعلم ذلك كنت أعلم أن هذا قد يحدث .

سألها وهو يدير وجهها نحوه :

– ماذا ؟

قالت من بين أسنانها :

– إنك لا تستطيع تقبل الأوامر. كنت قد قلت لك أن تناديني! إذ كان ينبغي أن أعتني أنا بنفسي في هذه الحالة !

تعتمت نظرة "لوك" ومط شفتيه ثم قال :

– إذا كنت لا أنفذ الأوامر حرفيا فهذا لأني أتمتع بالتفكير الجيد أنا أيضا. لماذا أطلب العون إذا كانت الأمور تسير بطريقة طبيعية يا "دليلة"، أنا لم أشأ إزعاجك.

وكانت "دليلة" أثناء استماعها إليه وهو يبرر موقفه تتساءل لماذا عملت على التشاجر معه؟ كانت تعلم أنه على حق، لكنها مغرورة ومتكبرة .

تمتم "لوك" :

– لماذا تصعدين الأمور يا "دليلة" ؟

أجابته بسذاجة :

– كنت... كنت بالضبط أرغب في التواجد هنا. أفي إمكانك فهم ذلك ؟

أخذ "لوك" ينظر إليها وهو يشمر عن ساعديه. ثم أجابها :

– نعم، أعتقد أني أفهم، إنك لا تستطيعين الانفصال عن خرافك لأنك اهتممت بها لفترة طويلة؛ لذلك لقد ارتبطت بها. كان ينبغي يا "دليلة" أن تكلفي الموظف القائم عندك بمهام معينة .

تأهبت للإجابة لكنها تراجعت، جذبها "لوك" إليه مختبرا مدى

مقاومتها . ثم قال :

– لماذا تهاجمينني يا "دليلة" ؟ أراك خائفة مني. لماذا ؟

أجابت :

– لست أدري .

وكانت كلماتها صيغة اعتراف .

– ألا تعلمين أني بالتأكيد لن أتسبب لك في أي إساءة أو أذى ؟

أجابته بجرأة :

– لا أقصد ذلك. أعتقد... أني أخشى فقد السيطرة على نفسي...

وعندما حاول الإمساك بذراعها صاحت فقال لها :

– آه يا "دليلة" لماذا تقاومينني ؟

ثم تمتم وهو يقبلها على جبينها :

– أنا لا أريد إلا شيئا واحدا يا "دليلة" : أنت.

أخفضت "دليلة" جفونها ثم مالت برأسها على كتفه.. بدأت تستعذب كلماته .

وفجأة طفا تفكيرها على السطح، قاطعا بذلك لحظات السحر التي كانت قد وقعت فريستها .

ابتعدت عنه في عنف قائلة :

– إننا في الصباح !

– أعلم ذلك، إننا لم نعد غرباء الواحد للآخر.

هكذا قال "لوك" في وداعة .

استطردت :

– إننا لم نتناول الإفطار لا أنا ولا أنت، بالإضافة إلى أن عندي عملا.

صمتت وكانا يتبادلان نظرات غريبة... وكان من خلفهما ينتظرهما عمل قد غير من خطتهما: شاة أخرى في حالة وضع .

*****

– "دليلة" ، "دليلة" ... قفي. إني محتاج إليك .

فتحت "دليلة" عينيها بصعوبة، وهي تقاوم رغبتها في الاستغراق في النوم .

– "دليلة" . قفي يا عزيزتي. أعتقد أنه أمامنا بعض المشاكل .

نهضت "دليلة" في تكاسل وسالته :

– كم الساعة ؟

– لقد تجاوزت الثانية بقليل، آسف لأني أيقظتك، لكننا لدينا خبر وأعتقد أن هذه الدابة– التي تبلغ من العمر عامين– التي تبدين قلقك دائما بشأنها تعاني بعض المشاكل.

تمتمت :

– حسنا، ساحضر في الحال .

انصرف "لوك" وتركها لكي ترتدي ملابسها. لقد أصبحت "دليلة"– بفضل "لوك"– تحصل في المتوسط على خمس ساعات في الليلة، مع أنها كانت تعتقد أنه يظل يقظا لفترات أطول مما يعلن لها، ولقد تاكدت من ذلك عندما خرجت معه في البرد وبيدها مصباحها، كان التعب باديا على وجهه .

بدا "لوك" أمامها وكأنه فقد بعض كيلو جرامات من وزنه بالرغم من شهيته الجيدة للاكل، لم يسترح دقيقة واحدة منذ أن بدأت عملية الولادة: ولادة الحملين. كان أيضا قد أصر على أن تذهب هي للقيام بالمشتريات وأن يراقب هو الحيوانات .

أصبح وضعها بالنسبة له لا يصدق. لقد تمكن "لوك" من أن يفرض نفسه عليها قليلا قليلا وأن يدخل حياتها وهذا في أقل من أسبوع !

وكان "لوك" لا يقل عنها في وداعته إزاء الحملان، بل كان حنونا ومترفقا ويقظا... ومما كان يدهش "دليلة" اكثر فاكثر هو أنه كان يسرد لها طفولته، يكلمها عن والده، يودعها أسراره غير أنها كانت تشعر بأنها تمنحه أكثر مما تنال منه .

أما عن نفسه فكان من النادر جدا أن يتكلم "لوك" ! لم يكن له اتصال بالعالم الخارجي عدا الخطاب الذي استلمه هذا الصباح من "تيرمودين" والذي لم يفتحه في الحال .

أيقنت "دليلة" أنها كانت مخطئة في أفكارها التي اتخذتها عنه في البداية، وهذا كان كلما رأته جاثيا على القش، يعتني بإحدى صغار الحملان ويعلمها المشي .

"يا إلهي! هكذا فكرت، لقد وقعت في حبه!" .

*****

وصلا إلى المخزن، وركعا أمام الشاة موضوع الاهتمام .

سألته "دليلة" :

– ماذا تعمل؟ ماذا تعمل هذه الشاة؟

– لا شيء. لقد توقفت عن الشرب منذ حوالي ثلاثة أرباع ساعة ومنذ ذلك الحين وهي لا تتحرك ويبدو أن الألم قد بلغ ذروته معها .

– والأخرى؟ أيتهما ؟

– الصغيرة ذات الرأس الأبيض .

– أوه، هذه العجوز "دورسيه"؟ إن اسمها هو "ديزي ماك" ما الذي يحدث لها ؟

– أعتقد أنها لا تعاني ما تعانيه الأخرى.

قالت وهي تدخل الحظيرة :

– حسنا لنر ذلك !

– إن أقدامه مثنية .

– نعم وسيكون حملا بدينا .

اضطر "لوك" أن يدير عينيه عن "دليلة" التي كانت جاثية على القش، تعمل كل جهدها لكي تنقذ الدابة المسكينة، وطبعا كان هذا الوضع يؤلمها وكان "لوك" يشعر بألمها، ثم واضعا يده على كتفها قال

لها بغية أن ينظر إليها :

– تعالي يا "دليلة"، تعالي دعيها .

أزاحت يده وعنفته ثائرة :

– لا !

وما هي إلا دقائق وإذا بالحركات المتوترة تهدأ ثم تبطل، وضعت الحمل الميت في القش بالقرب منها ونهضت. قالت :

– كان ضخما بالنسبة للحمل الأول. لكن لماذا؟ لماذا؟ لماذا لم أستطع.... إني لم أتمكن من....

قال لها "لوك" :

– لا بالتأكيد. لأنك لست الله سبحانه وتعالى!

حولت رأسها لكي تسحقه بنظراتها. كانت عيناها حمراوين وشفتاها مرتجفتين بينما كانت الدموع تنهمر على وجنتيها. تذكر "لوك" حينئذ أن المرة الأولى التي رآها فيها تبكي كانت من أجل خرافها .

كرر وهو يرفع ذراعيه نحو السماء، وقد شعر بالإحباط؛ لأنه لم يفلح في تهدئة حزنها :

– إنك لست الإله القادر على كل شيء... إنك لا تستطعين إنقاذها جميعا .

– أوه ! أعلم جيدا ...

ثم أغلقت عينيها المليئتين بالدموع. كان "لوك" مولعا بأن يضمها بين ذراعيه، أن يواسيها، لكنه كان لا يستطيع استباحة ذلك؛ لأنه كان يعلم أنها ستقاومه وأنه إذا تسبب لها في أي ألم فسيتحامل على نفسه باقي أيام حياته .

*****

حقا إن الشاة قوية؛ لأنها بعد ساعة من الراحة كان لابد منها انتصبت

"ديزي" وأخذت تبحث يائسة عن صغيرها في كل مكان كما كانت تملي عليها حاستها. دخل "لوك" وهو ينفخ في يديه، كان قد اختفى بعض اللحظات من قبل دون أن ينطق بكلمة، لكن "دليلة" كانت قد سمعت صوت معول في الحديقة، فاستنتجت أنه توجه لعمل حفرة لدفن المولود الميت.

قالت له :

– لم تكن مكلفا بالقيام بهذا العمل .

قال وهو يلحق بـ"دليلة" بالقرب من الحظيرة التي كانت ترقد فيها شاة محاطة بحملانها الثلاثة" :

– وهل شاة واحدة تستطيع إرضاع ثلاثة صغار ؟

– بعضها تقوم بذلك. لكن هذه مسنة جدا .

سألها وهو يشير إلى الحظيرة المجاورة :

– هل في إمكانك أن تعهدي بأحدها إلى هذه الشاة ؟

أجابت وقد بدا عليها الملل :

– لقد حاولت من قبل عندما كنت أنت خارجا. لن تتقبله .

– وكيف تشعر بالفرق ؟

– بالرائحة بلا شك، فمنذ أن تضع الشاة صغارها فهي تلحسها وبالتالي تعرفها. وإذا لم تلحس الأم الوليد فهي لا تحثه على الرضاعة ولا تسمح لمن لا تلحسه بأن ترضعه .

– إن لم تغسل صغيرا فهي لا تقبله. إني أتساءل: هل بدأت الاهتمام بوليدها؟

قالت :

– أعرف إلى أي شيء تهدف. لا أعلم. أعتقد أنه هكذا. هل تفكر في استخدام القراء ....

– هل قمت بهذه التجربة؟ وهل ستنجح ؟

أجابته بهدوء :

– لقد سمعتُ أن نتائج هذه الفكرة جيدة لكني لم أجربها أبدا .

قال لها وهو يضع يديه على كتفيها :

– "دليلة"، ليتنا نبدأ. لماذا نضيع الوقت ؟

بدأت "دليلة" الكلام لكنها شعرت وكان كرة في آخر حلقها تمنعها من الاستمرار :

– أنا ...

– دعيني أجرب... أقوم بهذا العمل.

كان "لوك" يجد حلا لكل مشكلة، يأخذ على عاتقه كل الصعاب التي كانت تعترضها ومع ذلك كان كل هذا يبدو سهلا ...

استطرد "لوك" بعد عدة لحظات:

– حسنا، حسنا. أتريدين أن تأتي لرؤية...

كانت الحملان الثلاثة تبدي سرورها وهي مختبئة تحت سترته التي من فراء الخروف، وكانت أفواهها مازالت ممتلئة بالحليب. كانوا يحتمون به، لقد نجح وقد بدا وجهه مشرقا .

كانت "دليلة" تتطلع إليه متأثرة. كم كان جميلا مع حملانه الثلاثة التي بين ذراعيه!

ابتسمت بمرارة قائلة في نفسها: ألست متعبا بأنك دائما على حق ؟

سألها :

– كل شيء تمام؟

– إن ساقي متقلصتان، انتظر دقيقة .

– عندي فكرة أفضل .

وضع الحملان على الأرض ورفعها على ذراعيه، حينئذ صاحت "دليلة" من الدهشة .

تمتمت :

– لك إجابة لكل شيء يا "ماك جريجور" . أليس كذلك ؟

– هذا ما أقوله دائما لنفسي... بالمناسبة كيف حال ساقيك ؟

– أحسن. في وسعك وضعي أرضا إذا شئت.

مرت بعد ذلك فترة صمت، كانت "دليلة" خلالها تلعب بشعره، ثم لاطفت وجهه بهدوء؛ اقشعر "لوك" لهذه الحركة وتمتم ببعض الكلمات من بين أسنانه. هكذا– وبدون مقدمات – بدأت "دليلة" تشعر بالتآلف مع "لوك" وكان هذا الأخير يستميلها إليه بكل رفق وحنان. كم من مرة قبلها؟ وفي كم من المواقف. حاليا فقط تستطيع "دليلة" أن تجيب على هذه الأسئلة إلا أنها أفاقت من صمتها وقالت وهي تضع إصبعها على شفتيه :

– "لوك" !

أجابها وهو يلمس بشرة عنقها الناعمة :

– نعم يا حبي. ماذا بك؟ ما بالأمر ؟

تمتمت :

– "لوك" ... من فضلك... من فضلك ...

(لم تكلمه هذه المرة بلهجة الاحترام) (وكانت تحدثه ببساطة بدون القاب).

ظل جامدا، صامتا لبضع ثوان ...

شعرت "دليلة" بخفقان قلبه... ثم تنهد "لوك" قائلا لها :

– لا تخافي يا "دليلة"، لا تقاوميني، يا حبي تعالي معي ، تعالي معي.

الفصل العاشر

فتحت "دليلة" عينيها، رأت "لوك" وعلى محياه لمحة حنان، تنهدت وأسرعت في القول :

– كان بها. يوجد فقط ...

– أعلم. أعتقد أنه كان من الواجب علي محاولة تهدئة الأمور أفضل من ذلك.

تمتمت :

– أتعتقد ذلك ؟

جاءت إجابته عبارة عن ضحكة مرحة صغيرة .

*****

كان "لوك" يقاوم النعاس الذي كان يزحف إليه رويدا رويدا... ظل يحتمل بمفرده كل هذه الضغوط، وها هو– في ليلة لم يكن يتوقعها– يحصل على المكافأة ألا وهي رضا "دليلة" عنه. لكنه لا يذكر أنه عانى من قبل هذا التعب الذي يشعر به، لقد كان رياضيا في الكلية لكنه حاليا كان يجد أنه أمر صعب ألا يمنح نفسه سوى بعض ساعات من النعاس في الليلة .

أخيرا تغلب افتخاره وعزة نفسه. ألقى نظرة إلى المكان الذي كانت جالسة فيه لتوها، ثم نهض، ارتدى البنطلون الجينز والسترة واتجه نحو الباب .

كانت الشمس ساطعة، والضباب الصباحي بدأ يتبدد ببطء على المرعى .

شاهد "دليلة" وهي تقترب حاملة أواني الحليب. شعر بالجوع... غير

أنه لم يكن محتاجا إلى غذاء الجسد لكي يشبعه، إنما كان يرغب في التقرب منها .

ظهر شيء ما من جيبه: خطاب "بيتي" . لم يكن قد فضه بعد، لكنه كان يشك بما يحتوي عليه :

"ماك" أين أنت؟ لماذا لم تطلبني؟ إنك لم تتصل بي كما وعدت؟ كيف تسير الأمور مع صغيرتك؟ إننا نفقد الوقت...

أتت لحظة لم يعد يفكر فيها "لوك" أنها ابنة القاضي "بومنت" . إنها الآن "دليلة" والحياة أصبح لها معنى آخر. توقفت على بعد عدة خطوات منه وابتسمت له .

قالت مندهشة :

– إنك تعاند .

مر بيده في شعره ثم قال لها :

– لقد تغيرت الأمور، حمدا لك يا إلهي، إني لم أعد جميلا! ولا أستطيع قول هذا عنك... إنك جميلة. إن جمالك يفوق الوصف .

علت الحمرة وجنتيها، خفضت عينيها نحو أواني الحليب التي كانت تتدلى في آخر ذراعيها، وضعتها على الأرض واندفعت نحوه... اقتربت منه ثم أردفت :

– كنت أخشى أن... كنت لا أريد أن تظن .

– "دليلة"، إن مشكلتك هي أنك تفكرين كثيرا .

– كانت "مارا – جان" قد قالت لي إنه ينبغي أن أتبع مشاعري، لكن...

– كما أنك تكثرين من الكلام !

اقتربت منه أكثر مظهرة حبها له.

قال لها :

– احترسي إذا بحثت عني فسوف أغرس مخالبي فيك .

– يا رجلي الضعيف .

قال "لوك" بمسكنة :

– لست أدري إذا كنت تمدحينني أم أنك تسبينني .

أردفت :

– أعتقد أني قد بدأت أعتادك .

– تعتادين القرب مني ؟

– نعم "مارا – جان" قالت لي إني سأصل إلى ذلك ذات يوم .

– أريد مقابلة هذه السيدة .

– ستقابلها، لكن ليس بهذه الفكرة؛ لأنك ستهبني مظهر الكاذبة .

– كيف ذلك ؟

– لقد سبق وأخبرتها بأنك أشبه بأبطالها؛ لأنها تكتب روايات عاطفية .

– أوه، يا إلهي! ربي كيف استطعت يا "دليلة" .... أن ...

ثم سكت لأنه فزع لما كان سوف يدلي به، شيء ما لم ينطق به لأحد أبدا وما ضايقه أكثر هو أنه كيف كان سيقوم بهذه الغلطة بطريقة عادية .

*****

تضايقت "دليلة" ؛ لأنها لم تجد الشمع علما بأنها فتحت كل أدراج المطبخ، كانت لا تبحث عن الشمع البسيط العادي الذي تستخدمه عند انقطاع التيار الكهربائي، لكن الشموع الجديدة ذات الرائحة الجذابة. كانت أيضا متألقة؛ لأن المفرش لم يكن سوى مشمع، وأنه ليس لديها زهور وأنه بالإضافة إلى ذلك كانت معدات المائدة عندها رخيصة .

"وعلى كل حال يا "دليلة" من الذي تستهزئين به بشموعك المعطرة والموسيقى الشجية؟" سوف يموت من الضحك !

كان العشاء معقولا، وكانت تقوم بتمثيلية لا تبدو له فقط أنها من

أجل إرضاء رجل. في الواقع كانت "دليلة" تسعى– بالرغم من أن مشاعرها الداخلية تخيفها– إلى جعله يلمس أنها تضعف عندما تفكر فيه. لا، كانت لا تعرف كيف تقوم بهذا الدور: كيف تستطيع فتاة أن تعترف لشاب بأن قلبها يخفق لأجله؟ كيف تدعو هذا الشاب ذاته عندها؟ دون أن يكون في ذلك مخاطرة ؟

تخلت "دليلة" عن فكرة العشاء، وضعت المفرش على الأرض أمام الأريكة وكأنه وضع في نزهة، ولما دخل "لوك" حاملا أواني الحليب في يديه كانت تعد هذه الجلسة التي ستقربهما من بعضهما .

وإذ فوجئت لوصوله عجزت عن أن تنهض بسرعة وقالت في خجل "طاب يومك" ثم تمكنت بعد لحظة من القول :

– العشاء جاهز. لابد أنك تشعر بالجوع .

نظر "لوك" إلى الأطعمة المختلفة الموضوعة على المفرش وذهب لوضع أواني الحليب على الحوض ثم قال لها :

– أكاد أموت جوعا. ما هذا الذي تنبعث منه هذه الرائحة الشهية ؟

– "سوتيه" .

نظر "لوك" إليها غير مصدق ثم قال :

– بدون مبالغة ؟

– هل تعلم أنه شيء بسيط ...

– عندما أخبرتني يا "دليلة" بأنك سوف تعدين العشاء كنت متوقعا "أومليت" بالزبد لكن سوتيه ، شيء رائع!

كان يبتسم لها مسرورا مما ساعدها على الانتصاب على قدميها، غير أنها تسمرت عندما وضع يديه على كتفيها .

قال لها :

– لا تتحركي يا عزيزتي ساقوم بكل شيء. ما المطلوب مني عمله الآن؟

– لا ينقص إلا الحليب .

كانت تنظر إليه وهو يغسل يديه، يضع الـ"سوتيه" في طبقين ثم يأخذ وعاء الحليب من الثلاجة، وأخيرا يجلس تحت قدميها. عملت "دليلة" مثله. "إنه يبسط الأمور"! هكذا كانت تقول لنفسها. كانت كل تصرفاته تتم بتدقيق وبساطة. ألم يحدث لها أبدا أن تشك ؟

قال معلقا :

– مفرش جميل! هل هو لك ؟

– نعم ... نعم .

كانت "دليلة" قد استيقظت لتوها. كانت تراقب "لوك" وهو يتناول قطعة "سوتيه" بشهية. ثم يحرك لسانه لكي يلعق الصلصة. تناول قطعة أخرى بين أسنانه وتقدم نحوها فما كان من "دليلة" التي كانت تغمض عينيها إلا أن فتحت فمها وقبلت تقدمه .

قال :

– أوه! الفتات. إن إتلافها خسارة .

– أوه! ولماذا لم تعمل ذلك من قبل ؟

– من قبل ماذا ؟

ثم لاطف "لوك" عنقها مبتسما بحنان. ولم تعد تسمع أنغام موسيقى إلا صوته العذب (هكذا كانت تفكر "دليلة" مسرورة). ثم أجابته :

– قبل الآن. اليوم بعد ... كنت أخشى ألا ترغب في تقبيلي بعد الآن ...

– أوه! "دليلة" . أنا لم أقم بهذا؛ لأني كنت أرغب فيه ... قويا ... كثيرا.

– حقا؟ لكني لا أفهم قصدك بالضبط .

– لأني في كل مرة كنت أقبلك فيها كان من الصعب علي أن أتوقف عند هذا الحد، وهذا ما لا أرغب في أن يحدث اليوم .

قالت بمرارة :

– أوه، أرى ذلك !

– لا .

إنك لا ترين شيئا؛ لأني لا أكف عن الاشتياق إليك، في الصباح عند استيقاظي، ظهرا ووقت المساء لقد سعدنا في الليلة الماضية واليوم أريد أن أحيك بهدوء كلية غير أني لم أجد الوقت حتى الآن، هل تفهمين؟

أجابته وهي تغلق عينيها :

– نعم والآن ؟

– والآن أمامنا الوقت .

– لكن... والعشاء؟ لقد أخبرتني أنك تموت جوعا .

قال وهو يقبلها ثانية :

– يوجد أنماط متعددة من الجوع.

أخيرا فهمت "دليلة" ما كانت تقصده "مارا- چان" وأيدت ذلك في غير قيود. فجأة صاحت مذعورة :

– "لوك" .

– ماذا يا عزيزتي ؟

– ماذا سيكون مصيرنا ؟

– ألا تعلمين؟ إنه ما سوف نقرره .

– لا. إني كنت أرغب في التحدث عن أمور ليس في مقدورنا التصدي لها... كما أننا نخدع نفسينا إذا تجاهلناها . استطرد "لوك" بنبرة يأس:

– "دليلة"! ما الذي تنطقين به الآن ؟

– حسنا، إنه بشأن هذه الفتاة التي تريد أن تتزوجك والتي تهرب منها... هل تتذكرها ؟

لقد جمعت "دليلة" كل شجاعتها حتى تمكنت من الإفصاح عن هذه الفكرة التي كانت ترتجف لها. تردد "لوك" لحظة ثم عاد وجلس في

مكانه. كانت أول مرة تقرأ فيها "دليلة" على وجهه علامة شك، علامة عدم ثقة وأمان.

تمتم:

– الآن وجب أن أوضح لك موقفي.

"لقد وصلنا– هكذا فكرت "دليلة"– إلى أنه متزوج"

– إن "جلينا" التي أعمل على تجنبها. وجب الآن أن أعترف لك: إنها أختي.

– ماذا ؟

نظرت إليه "دليلة" وقد عقد لسانها من الدهشة.

كرر وهو يرفع ذراعيه إلى السماء:

– أختي.

تمتمت "دليلة" وقد بلغت أقصى درجات الثورة:

– أختك ! لقد كذبت. إنك كذاب فظيع، وأنا كفتاة غبية صدقتك!

ثم أضافت وهي تكيل له اللكمات بقبضة يدها:

– أكاد لا أصدق أني تركتك ...

ضحك "لوك" أمام ثورتها:

– هيه! لا تحطمي الأطباق على رأسي؛ لأنك ستضطرين إلى خياطتها بعد ذلك. اهدئي أنا لم أكذب عليك.

صاحت "دليلة" وكانت غير قادرة على السيطرة على نفسها:

– إذن كيف تسمي ذلك ؟

وكان صوت "لوك" يتعارض بهدوئه مع صوتها ثم قال لها:

– أنا لم أكذب عليك. وكل ما قلته لك حقيقة. أنا لم أقل لك إنها تريد أن تتزوجني إنما إنها تريد أن تزوجني ها هي لها سنوات تدفعني إلى ذلك. والآن لقد تزوجت، إنها ....

– كان فخا وكنت تعلمه جيدا! لقد سخرت مني، وتركتني أصدقك...

كانت تتصارع مع "لوك" الذي كان يمسك بقبضة يديها بقوة، لكنه انطلق في الضحك وجذبها إليه لكي يقبلها على وجنتيها ثم قال لها:

– إنك جميلة يا عزيزتي بصورة لا يتخيلها أحد ولا تصدق... خاصة عندما تثورين.

– لا تحاول تغيير مجرى الحديث. بالمناسبة فيما كذبت علي أيضا ؟

ظل "لوك" صامتا خلال فترة ليست بالقليلة، وهو يتفرس فيها وكانت نظرته باردة وثائرة إلى حد جعلها تخاف. ثم أجاب:

– لا شيء بتاتا.

ضمها قويا بين ذراعيه بحيث إنها لم تتمكن من الانصراف بعيدا عنه وكان يمطرها بالقبلات، ثم تمتم:

– وأنت أيضا لقد كذبت علي.

تمكنت "دليلة" أخيرا من النطق:

– أوه... نعم ...

قال:

– إن بشرتك ناعمة.

ابتسمت قائلة:

– أنا لم أقل عكس ذلك أبدا، لكني لا أستخدم صوف الخراف.

أغمضت الفتاة عينيها بعد ذلك ثم فتحتهما لكي ترى وجهه الجميل، لكنها لم تلمح ابتسامته الملائكية ولا نظرته التي لا تقاوم، لكن وجها به عيوب: تجاعيد عند زوايا الفم وعينان متعبتان، وجه بشري، وجه "لوك ماك جريجور". رأته بعد ذلك وهو يخفض جفونه وجسمه يرتجف.

قال بصوت هادئ؛ إذ كان "لوك" يحترم جسم المرأة ولا يعتبره آلة:

– إني مشتاق إليك يا "دليلة".

تمتمت:

– وأنا أيضا يا حبي !

اكتشف "لوك" لأول مرة الفرق بين حب الجسد وحب الروح، وها هو الآن يتبع مشاعره أكثر من خبرته .

أخذ "لوك" يردد لها عبارات عذبة تفيض حنانا وتبعث في نفسها الطمأنينة .

*****

بعد حوالي أسبوع كانت "دليلة" في الحمام، معجبة بالتعديلات التي طرأت عليه والتي كان قد أنجزها "لوك" .

كان قد عزل الحمام أولا : وضع "السيراميك" على الأرضية والحوائط، تكييفا في السقف، ثم قام باستبدال "البانيو" القديم بآخر جديد على قوائم برنزية .

إنه هذا "البانيو" الذي أعلمها كم أنها تحب "لوك" وإلى أي مدى قد تغيرت من أجله .

انخرطت "دليلة" في البكاء عندما رأته . كان "لوك" قد قال لها من قبل :

– أتعلمين أنها أول مرة أراك تبكين فيها لشيء آخر سوى خرافك ؟

– كيف كنت تعلم ذلك ؟

– كم ستحبين "بانيو" مثل هذا! هل تمزحين أيتها الصغيرة العاطفية؟ "دليلة" إن التي ترتدي مثل هذه الملابس الداخلية الرقيقة لابد أن تكون رقيقة وعاطفية، كم ستكونين جميلة في هذا البانيو ورغوة الصابون تغطيك حتى الذقن ...

عادت "دليلة" إلى تفكيرها، خرجت من الحمام كان "لوك" في المدينة فكانت تشعر بأنها فريدة ، وحيدة ...

كانت تفتقده إذا اختفى بضع ساعات . فجأة سمعت صوت اقتراب سيارة! لقد وصلت "مارا– چان" .

– "مارا – چان" أي ريح جيدة دفعتك إلى هنا ؟

ارتبكت "مارا – چان" . ثم قالت :

– إنه "لوك"، لقد .... إنه... إن "روي" أوقفه منذ قليل :

الفصل الحادي عشر

قالت له "دليلة" :

– "لوك"... غبي .

– هيه لا تزجريني .

كان "لوك" جالسا على حافة مكتب في قسم الشرطة، السترة على كتفه وبيده اليمنى ضمادة .

تقدمت "دليلة" نحوه ثم قالت :

– هل أصبت في يدك ؟

– نعم. أعتقد أن أسنان "أموس" الضخم أصابتني بجرح عميق، كان من المفروض أن أخفف قوة الضربات .

– "لوك"، أنا لا أستطيع تصديق أنك ضربت "أموس"! أعتقد أنك أخبرتني قبل الآن أنه ليس من نوعك ولا من قامتك .

مط "لوك" شفتيه وحول عينيه ثم قال :

– لكن أحيانا يغير المرء رأيه .

– ما الذي عمله يا "لوك" ؟

– ليس المقصود عمله بقدر ما قاله .

اقتربت "دليلة" منه أكثر وسألته :

– يا إلهي! وماذا قال ؟

ثم واصلت حديثها عندما رأت الثورة بادية في عينيه :

– حسنا، دعنا من هذا. ما حالة يدك؟

أبدى "لوك" ابتسامة مقنعة ثم قال لها :

– بسيطة، لن تحتاجي إلى القيام بخياطة الجرح هذه المرة.

استطردت وهي تلمس سترته بإصبعها :

– لقد تلطخت سترتك بالدم. دعني أغسلها لك .

انتصب "لوك" على قدميه ثم ابتسم وضمها إليه بعنف.

قال لها :

– أنا آسف، لا لأني ضربته لأنه كان يستحق ذلك، غير أني لا أحب أن تختلطي بهذه الأمور وخاصة أن أتركك بمفردك. اسمعي يا "دليلة"، أنا مضطر للبقاء هنا؛ لأنهم سيحتجزونني هذه الليلة. وها هو "روي" يحاول إقناع "أموس" بأن يتنازل عن التهمة لكن...

تراجعت خطوة لكي تنظر إلى عينيه .

أردفت :

– إني معتادة البقاء بمفردي. لا تقلق من أجلي.

كانت هذه حقيقة، غير أنها كانت تشعر بأن الوضع قد تغير الآن... إنها فعلا أصبحت تشعر بالوحدة في غياب "لوك" بعد أن عرفته واعتادت صحبته، غاية ما في الأمر أنها كانت تريد أن تطمئنه. قال :

– لكني لا أستطيع الامتناع عن القلق .

– اسمع، لقد قضيت عامين كاملين بمفردي وعندما ترحل لا تهتم سأتصرف بمفردي، على كل حال لقد وضعت كل الإناث تقريبا صغارها وقد لا أحتاج إليك في هذه الفترة .

– إنه فقط من أجل ذلك؟ إنه فقط من أجل خرافك، ألا تحتاجين إلي؟

كان وجهه قد تعتم. هل كان هذا "لوك ماك جريجور" الساحر ذا الرأس الدامي الذي هبط عليها من السماء واقعا بين ذراعيها ؟

– أرجوك يا "دليلة" انسي قليلا خرافك اللعينة وفكري في، فكري في هذا.

ثم قبلها في حنان .

قال "لوك" وهو يقف أمام "دليلة" لكي يتجنب موقفا محرجا :

– "روي" هل نجحت في مهمتك ؟

– أخشى أن يكون لا. مازال حرا... ومن يلومه على ذلك ؟ إن

ابتسامته مشرقة وينبغي أن ينام هنا هذه الليلة.

استطرد "لوك" وهو ينظر إلى "روي" :

– اتفقنا. احرص على أن تعود "دليلة" في سلامة .

قال "روي" موجها الكلام إلى "دليلة" بنبرات لطيفة :

– هيا يا "دليلة" إن "مارا – جان" سترافقك إلى منزلك، لن يتم شيء قبل صباح غد.

أيدت "مارا – جان" كلامه فقالت :

– سأحرص على ذلك .

وافقت "دليلة" بإشارة من رأسها، لكنها لم تتحرك، كانت لا تجد عندها أي رغبة في الابتعاد عن "لوك"؛ لأنها كانت تشعر بالأمن في القرب منه .

قال لها هذا الأخير :

– كل الأمور ستتم على ما يرام يا "دليلة" !

– سآخذ سترتك معي وسأحاول تنظيف البقع .

مد لها يده بها مستفيدا بهذه الفرصة لكي يلمس يدها خلسة. أما "دليلة" – بينما كانت تتبع "مارا – جان" في هذه الليلة الشديدة البرودة– فقد فهمت ما سوف تكون عليه حياتها بعد رحيله: جحيم، جحيم حقيقي !

*****

كانت "دليلة" قد غمرت السترة بالماء البارد، عندما لاحظت الخطاب في الجيب الداخلي أسرعت بإخراجه قبل أن يختفي الحبر في الماء، أخرجت الخطاب من المظروف، وضعته على منشفة وتركته يجف على مائدة المطبخ... وخرجت لزيارة مواشيها. لم تمر عليها ليلة بمثل طول هذه الليلة، وعندما وصلت "دليلة" إلى المخزن وجدت أنثى في حالة وضع، فما كان منها إلا أن انتظرت في مكانها لمتابعة الحالة. ظلت يقظة

وإن كانت أيضا لا تشعر بالرغبة في النوم .

قالت لنفسها: "لو كان "لوك" هنا؟ إن كل شيء يبدو بدونه كئيبا ومملا" . لكن، على الأقل لديها الآن الإضاءة الكهربائية وهذا بفضله طبعا! فكانت تقطع فترات الوحدة هذه والانتظار في الاطلاع على كتاب أو تصفح مجلة أو إحدى الصحف التي كانت تساعدها في علاج صغار الحملان .

كانت هذه الصحف عملية وزهيدة الثمن، لحسن الحظ لقد أحضرت لها "مارا - جان" كمية لا بأس بها منها. فكانت نافعة إن لم تكن لتسليتها فلتكن على الأقل لكي تظل يقظة .

وقعت تحت يدها صحيفة يومية من "لوس انجيلوس" بعنوان: "رئيس تيرمودين" يهرب من الحكم بفضل حادثة" .

هكذا كان تفصيل المقال :

"لقد هرب "لوك ماك جريجور" رئيس شركة "تيرمودين" عندما هبط بطائرته الخاصة على مرعى في "سيبيرا" . لقد وصلنا هذا النبأ عن متحدث مسؤول عن الشركة" .

صاحت "دليلة" :

- إنك تتكلم عن مرعى. لابد أن أعرف إذا كانت له مشاكل مع العدالة.

تساءلت ومن أين حصل هذا المتحدث على المعلومة، بحثت في الصحف الأخرى عن مزيد من التفاصيل. وإذا بها تعثر على مقال بعنوان "جلسة لـ"تير مودين" في نيسان (إبريل)، أتى فورا إلى عينيها - أثناء قراءة المقال- اسم "أندرو بومنت" ثم بعد قراءة آخر سطر دهشت لما اعتراها فجاة من برودة في كل جسمها وكم أنها شعرت بأنها تكاد تفنى !!

أثناء ما كانت "دليلة" تراقب الشاة أخذت تحلل المقال. حسنا، إن "لوك" أو بالأصح شركة "تيرمودين" لابد أن تكون قد وقعت عليها

مخالفة لمزاولتها نشاطها عند بحيرات "ماموث" . وبعد ؟

هكذا، إن والدها هو القاضي الذي قد أصدر الحكم على شركة "لوك" ، كم أن العالم صغير، صغير جدا، يا للمصادفات العجيبة! لم تكن "دليلة" قد رأت والدها منذ ثلاث سنوات، لكن "لوك" لم يهبط على أرضها عن رغبة! لا، حمدا لله .

خلعت "دليلة" معطفها ونزعت قفازيها من يديها فور وصولها إلى المنزل، لكنها لم تتجه مباشرة إلى السرير. نظرت إلى الخطاب الموضوع على المائدة طويلا وهي ترغب في معرفة ما يحتوي عليه. لكنها بالتاكيد لن تفتحه. تفتح بريد "لوك" آه، لا! وإن كانت ترغب بشدة في الحصول على معلومات، على إجابات على تساؤلاتها لكن لا... لن تنزل "دليلة" إلى هذا المستوى... كان الخط المكتوب على المظروف الموجه إلى "لوك" خطا لرجل. إنه بالضبط خطاب عمل لا غرابة في ذلك. لكن لماذا تركه في جيبه دون أن يفتحه ولا أن يرد عليه ؟

سوف تعجز عن ذكر عدد المرات التي تقدمت فيها نحو قطعة الورق لكي ترفعها ثم تعيدها إلى مكانها مرة أخرى... وأخيرا استجابت لفضولها، جلست أمام المائدة، تناولت الخطاب برقة بين أناملها وبدأت تقرأ .

*****

عاد "لوك" في منتصف الصباح، كان في أمس الحاجة إلى أخذ دش وأن يقوم بحلاقة ذقنه. توجه أولا إلى المنزل .

كان قد قضى ليلته في التفكير وكان بالتالي متعبا جدا، إن رد فعله إزاء "أموس" وفظاظته قد فتحت له عينيه، غير أنه كان لابد من حدوث ذلك حتى تصبح الأمور واضحة جلية. إنها الليلة الأخيرة التي سيعيش فيها بعيدا عن "دليلة" وإن أمكن لباقي أيامه. مع كل هذا لم يكن لدى "لوك" أي استعداد للاعترافات؛ إذ إنه لم يكن يتمتع بهذا الشعور نحو

فتاة علما بانه مع "دليلة" كان يتوقع كل شيء... وكانه شاب في السابعة عشرة من عمره وهو يجمع شجاعته لكي يعلن هيامه لأستاذه، كانت تنقصه دعامة نفسية وكذلك باقة ورد .

أما عندما رأى "لوك" خطاب "بيتي" على المائدة فكان ذلك بالنسبة له مثل طعنة خنجر في ظهره، أخذ يرتجف ثم تصبب منه عرق بارد. مستحيل أن تكون "دليلة" لم تقرأه، كان وضع الورقة يؤكد ذلك. لقد تذكر أنه- من جانبه- لم يقرأه بعد، لعل "بيتي" لا يكون قد كتب أي معلومة بخصوص موضوعهما.

"تحية إلى "ماك". كل شيء على ما يرام هنا. كيف تسير الأمور من جانبك؟ لابد أن كل شيء يتم للصالح وإلا كنت قد تلقيت أخبارا منك. أليست حقيقة؟ أود أن تعلم أني تناقشت مع المحامين و"فريدمان" يؤكد أن أمامنا فرصا لهزيمة "بومنت". إنه يقول إن أي نوع علاقة مع ابنته سوف يغرقه. إذن خبر جيد، إنك لست ملزما بأن تتزوجها! وجب عليك إذن الاتصال بي هاتفيا. متى ستعود؟ وجب أن نجتمع قبل الجلسة، اتصل بي!

وهكذا كان ختام الخطاب: "تجلد يا شمشون واحتفظ بأسرارك".

أتى صوت "دليلة" من خلفه قائلا :

- إن أمرك سيسهل، إن والدي سيتنازل عن حكمه عندما يعلم أنك عشت معي، نمت عندي ...

- هل قرأت مراسلاتي ؟

- كنت أتمنى ألا أقوم بذلك، كنت لا أرغب في اكتشاف إلى أي حد من الممكن أن تكون دنيئا وخسيسا !

تألم "لوك" عند سماعها تتكلم على هذا النحو. تجمد مكانه عاجزا عن القيام بأدنى حركة. كان يتطلع إليها صامتا، وكانت رغبة قوية تتملكه بالتقدم نحوها، بهزها، بالإمساك بها بين ذراعيه، مع العلم بانه لا يستطيع التنفيذ؛ إنها غلطة غير قابلة للإصلاح... لو لم تكن

"دليلة"، ربما كان قد حاول تفسير وضيعه، لكنها كانت "دليلة" الفتاة المتعالية، العنيدة، التي لم يقابل في حياته مثلها حتى هذا اليوم! قاوم وكان كل كيانه يتطلب منه ذلك .

- أنا لم أفتح هذا الخطاب اللعين. ألا يخبرك بشيء ؟

- لقد فكرت في هذا الموضوع يا "لوك" وهل تعلم ماذا أيضا؟ وأراهنك بأنك ستجد إجابة لكل أسئلتي. إنك قوي حتى تسرد قصصا مصطنعة.

- "دليلة" ...

غير أنه تراجع، كان هو أيضا متعاليا، كان يعيش عندها منذ ثلاثة أسابيع! كانا قد قضيا معا لحظات طيبة! وقد منحها أرق مشاعره، ثم خلال ساعات أصبحت لا ترى إلا الجانب السلبي للأمور .

لم يكن أمامه إلا أن يلوم نفسه على ذلك، لكن هي كيف كانت تستطيع نسيان ما كان بينهما ؟

استنشقت كما هائلا من الهواء وأمرته بالتزام الصمت بإشارة من يدها. تأكد من خيبة أمله وكان يشعر بانه لن يستطيع إصلاح ما قد فسد .

- أنا لست شريرة. إني أمنحك مهلة حتى غد بعد الظهر لكي تختفي أنت وطائرتك أي أن المدة أكثر من أربع وعشرين ساعة وإذا كان لديك قليل من الاحترام نحوي- من فضلك- فإنني لا أريد رؤيتك ولا سماع صوتك. منذ الآن وحتى ساعة رحيلك.

وافق بإشارة من رأسه وأخذ حقيبته. قالت له عندما توقف على عتبة الباب :

- أتعلم ما هو غريب: إن كل هذا غير ضروري.. ربما كان والدي قد منحك جلسة عادلة ونزيهة وإن كان "اندرو بومنت" أبا غير جدير بالاسم، إلا أنه حاكم عادل !

كانت "دليلة" تعلم أن ما تطالبه به غير معقول؛ إذ كان من الصعب

على رجل أن ينقل هذه الطائرة بمفرده، كان عليه أن يطلب يدا عاملة وهذا سيتطلب أكثر من أربع وعشرين ساعة .

كان هذا لا يمنع "لوك" من مواجهة المشكلة بإصرار أقرب ما يكون إلى المكابرة. وقفت "دليلة" تنظر إليه بإعجاب وهو يتناول الكريك من السيارة ويحمل الطائرة بالأسمنت. هل كان غروره وكرامته فقط هما اللذان منحاه القوة لاختراق المرعى حاملا حمله الثقيل؟ إنه الرجل القوي، الجبار الذي لم تصادف مثله في حياتها! كم كان "لوك" يكره الهزيمة!

وفي منتصف فترة ما بعد الظهر كانت الطائرة مستقرة في مكانها، كانت "دليلة" تلوم نفسها على فرض هذه المهلة عليه وهي تعلم أنه من المستحيل تنفيذ ما تطلب منه في هذه المدة. إلى أي مدى سيذهب "لوك" حتى لا يعترف بانه مهزوم ؟

وحوالي الساعة الرابعة دخل إلى العربة متخذا طريق الوادي وسط سحابة من الغبار... ثم عاد مزودا برافع ومجموعة معدات.

كان من البديهي أنه قرر الإقلاع. قامت "دليلة" باعمال المساء في عصبية. لن تذهب إليه وتخبره بان ينسى كل ما قالته، لكنه أيضا إذا حاول الإقلاع من هذا المرعى الصغير وبمحاولة هبوط غير ممهد فسيتعرض لأن يجرح... أو أن يموت ...

لم تهتم "دليلة" باي شيء، توجهت بالقرب من الطائرة، كان "لوك" ممددا تحت هيكل الطائرة وبيده آلة نفخ. كانت الشرارة تنعكس على قناعه الواقي.

قال :

– لا تنظري إلى اللهب؛ لأنه يؤذي العين ويخطف البصر .

شعرت "دليلة" بعد سماع كلماته بالدموع تملأ عينيها "من الغضب". هكذا قالت لنفسها: لن تخبره أبدا بانه أساء إليها. أبدا، وأخيرا صاحت :

– ما الذي تعتقد أنك فاعله؟

أجابها :

– وحسب رأيك ؟

– هل... هل تفكر في الطيران بهذا الحطام!

سحقها بنظراته .

– لم لا ؟

ضربت "دليلة" جناح الطائرة بقبضة يدها .

– في وسعك قصف الأجنحة والسير بها بعد ذلك، لأنك سوف تموت إذا حاولت الإقلاع بهذا النعش.

– وهل هذا يقلقك ؟

أجابته ثائرة :

– لا .

نهض وتبادلا كلاهما النظرات... إلى أن سمع أزيز الطائرة وبدأت تزحف ببطء نحو المهبط ونحو "دليلة"، حينئذ صاح "لوك" :

– "دليلة"! انتبهي !

لكنها كانت خائفة، متجمدة لرؤية هذا الوحش الأصفر الذي كان يتقدم نحوها.

شعرت بانها أمسكت من وسطها ثم ألقي بها على الأرض، كانت الطائرة قد ارتفعت ثم سقطت على ساقها .

الفصل الثاني عشر

لم تفقد "دليلة" وعيها، لكنها كانت تشعر بألم فظيع في الساق، وأصعب منه هو سماعها صوت "لوك" - الذي كان يعبر عن اليأس - وهو يسألها عن حالتها وهي عاجزة عن الإجابة عليه .

كان جاثيا بجوارها لكن لم يسمع لـ"دليلة" أي صوت؛ الأمر الذي كان يخيفه. وكأنها كانت تجد صعوبة في التنفس .

قال وهو يقيس نبضها حتى يتأكد من سلامتها :

- "دليلة"، هنا، ببطء، أنت بخير يا حبي؟ هل تشعرين بتحسن ؟

ثم رفع رأسها وابتسم لها بحنان. أخيرا تمكنت من النطق ببعض كلمات :

- لا، إن ساقي تؤلمني. أعتقد أنها كسرت .

مال "لوك" على الساق .

- "لوك" ؟ كيف تراها ؟

رأته يخفض رأسه فصاحت :

- "لوك" ! احذر من أن يغشى عليك! أحلف لك أنك إذا تركتني... ألقى إليها نظرة رهيبة وابتعد، ثم قبل أن تجد الفرصة للاعتراض كان عائدا وبيده الكريك.

كان قد أغمى على "دليلة" من شدة ضغط ثقل الطائرة على ساقها، لكنها عادت إلى صوابها عندما ضمها إليه .

- "لوك" ؟

لمست وجهه، كان مبتلا، أو بالأصح كان متصببا عرقا. كيف يحدث ذلك والجو ليس حارا؟ لماذا يعرق بهذه الصورة ؟

- نعم، يا حبي .

تمتمت :

- لا ترحل، أنا لا أريد أن ترحل...

- ليست لدي نية الرحيل.

وفي ارتباكها لم تتأكد من أنه أضاف: "أبدا" .

*****

كانت الرحلة من المنزل إلى المستشفى تجربة تتعشم "دليلة" أن تنساها بأسرع ما يمكن، بقدر ما كانت تعلم أنها ستتذكرها مدى الحياة.

كانت قد اضطرت إلى الجلوس على المقعد الأمامي، كان ظهرها مستندا إلى الباب، وساقاها ممددتين على ركبتيه، كان يعمل على محاولة القيادة بأقل سرعة ممكنة؛ ولكي يتفادى التفكير في الألم ساورت "لوك" فكرة القيام بتسميع محفوظات ولكم دهشت "دليلة" عندما رأت أنه يعرف أكثر منها .

سألته وهي تنظر إليه من خلال جفنيها المغلقين إلى النصف :

- كيف تعلمت هذا ؟

أجابها متململا من سؤالها :

- لست أدري. أعتقد أني كنت قد استعرتها من أختي، هيه! إني متأكد من أنك تعرفين هذه: "باء باء، خروف أسود، هل عندك صوف لي ؟

دندنت "دليلة" بمرح :

- نعم يا سيد،... نعم يا سيد... لدي ثلاثة مخازن ملآنة ...

نظرت إليه من جانب، يبدو أنه يخشى فقدها؛ لأنه كان مرتبكا أو ربما أنه لا يحتمل رؤية شخص متألم .

*****

استيقظت في حجرة لا تعرفها. كانت ساقها لا تتحرك وكانت ذراعها اليمنى مرتبطة بجهاز المحاليل المثبت جيدا على ظهر يدها.

سألت :

– ما هذا ؟

أجابتها الممرضة :

– إنه مضاد حيوي وجلوكوز، عندك كسر مضاعف. لكن كل شيء سيتحسن .

– رائع !

وكيف ستتحسن كل الأمور، بينما هناك في الجبل حوالي ثلاثمائة خروف محتاجة إليها؟ كيف ستتصرف؟ لو كان "لوك" هنا "أوه، "لوك" . أين أنت عندما أحتاج إليك" ؟

عرضت عليها الممرضة قائلة :

– لقد أحضرت لك إفطارك. هل أنت جائعة .

تمكنت "دليلة" من النطق وهي غارقة في دموعها :

– بالتأكيد .

ابتسمت لها الممرضة وخرجت... وما هي إلا بضع دقائق وإذا بها تعود وقد بدا عليها الضيق ثم قالت الممرضة :

– لك زيارة. في الواقع إنه ليس الموعد المحدد لكنه أصر على ذلك .

– "لوك" ؟

بدأ قلبها يخفق ورفعت يدها في تلقائية إلى شعرها؛ حتى تعيد تسريحته غير أن الصوت الذي ارتفع في الدهليز لكي يعترض ليس صوت "لوك" .

هكذا أعلن "أندرو بومنت" :

– لقد حضرت لرؤية ابنتي ولا يستطيع أحد أن يمنعني !

– أبي! ماذا تعمل هنا؟ كيف علمت ؟

– لقد اتصل بي "ماك جريجور" هذه الليلة. حقا كان الوقت متأخرا،

أخبرني بأنه عاد إلى المنزل وهو يطمئنك على أمر خرافك. لا تقلقي من أجلها، لقد اعتنى بها .

– هو... هل... قال هذا بالضبط ؟ إنه عاد إلى المنزل ؟

استطرد "أندرو" :

– بالضبط. أعتقد أن هذا يحوي معاني كثيرة بالنسبة لك .

قالت بنبرة حزينة :– نعم .

هكذا أطاعها "لوك"، لقد قالت له إنها لا تريد أن تراه .

تساءلت عمن يا ترى قد عاونه في الاهتمام بشؤون المواشي، أشارت "دليلة" إلى والدها بالجلوس .

– لا شكرا. لقد قضيت الليلة في القيادة، أفضل البقاء واقفا، يبدو عليك الارتياح، بذلك أستنتج أن عملية تربية المواشي تسير حسنا .

قالت بابتسامة مرة :

– كانت تسير حسنا، إن هذه الحادثة لم تأت بالخير، سأضطر إلى دفع مساعدة .

– والتأمين ؟

– ليس لدي. لم يكن لي تأمين قبل الآن .

– إن تأميناتي تغطيك يا ابنتي .

– لماذا؟ إني أبلغ من العمر ستة وعشرين عاما .

– لأنك ابنتي، أين المشكلة في ذلك ؟

– يا إلهي! وأنا التي كنت أعتقد أني مستقلة تماما .

– أعلم يا "دليلة" أن هذه كانت دائما رغبتك، حتى في طفولتك، ولقد تسبب ذلك في خلق بعض المشاكل، آه "دليلة" !

كانت أول مرة يناديها هكذا. كان يدير لها ظهره وكان صوته غريبا، قد يكون حزينا. ثم استطرد بعد لحظة:

– على أي حال سيأتي اليوم الذي سوف تكتشفين فيه أنه لا يوجد إنسان مستقل تماما، قائم بذاته، بمفرده .

قالت في هدوء :

– شيء عجيب، لقد قال لي أحدهم نفس الكلمات منذ فترة ليست بعيدة .

أغمضت عينيها وانخرطت في البكاء قائلة :

– أبي...

اقترب والدها منها، جلس على حافة السرير ثم أمسك بيديها برفق، فكانت هذه أعمق علامة حب كانت تتوقعها "دليلة"، مال بعد ذلك عليها وقبلها بحنان على جبينها .

حينئذ تبدد الألم الذي رافقها طوال حياتها تقريبا في لحظة واحدة، لقد فهمت في هذه اللحظة بالتحديد أنه يحبها، وإن كان لم يعرف في الماضي كيف يظهر حبه لها إلا أنه كان يحبها.

تمتمت :

– أبي! هل تضع قبعة ؟

خلع الأب قبعته ثم قال في افتخار :

– إنها قبعة الصيد .

– الصيد !

– لكن على ما يبدو لي يا عزيزتي أنك تجهلين أنك تعيشين وسط إحدى أماكن الصيد الشهيرة في أمريكا .

وجدت "دليلة" صعوبة في تصديق أن والدها من الممكن أن يميل إلى الصيد أو إلى أي هواية أخرى. فجأة نظر "أندرو" إلى ساعته.

– وجب أن أنصرف. لقد أزعجت الممرضة لفترة طويلة اليوم. غير أني أعتقد أنه سيسمح لي بزيارتك غدا خلال ساعات الزيارة المحددة .

ثم بعد أن انصرف استغرقت "دليلة" في أفكارها، كان ذهنها يردد سيمفونية من المشاعر كفيلة بأن تلهيها عن آلام ساقها .

وإن كانت قد تخلصت لتوها من ألم لكنها ها هي تقع في غيره.

"لوك"، قذر خسيس. هكذا كانت تصبح في داخلها. كيف

استطعت أن تعمل بي هكذا؟ كيف استطعت أن تجعلني أحبك وأن أحتاج إليك ثم تتخلى عني هكذا ؟

*****

ذات صباح أتت الممرضة قائلة لها وهي تبتسم :

– إذن، إنك الآن في أتم صحة. ألست سعيدة لعودتك إلى المنزل؟

أجابت "دليلة" :

– نعم ، نعم .

سعيدة؟ لم لا؟ لقد عولجت ساقها وها هي الآن قادرة على السير على عكازين. لقد عادها والدها لفترة كبيرة يوميا، كما أن "روي" و"مارا – جان" كانا قد أحضرا لها زهورا، الجميع كانوا قد قالوا لها بألا تقلق ولا تهتم إلا بساقها وأن كل الأمور تسير بأحسن ما يمكن، كانت "دليلة" تجدهم جميعا غرباء وغير واضحين .

قالت لها الممرضة :

– هانت مستعدة للانصراف. وهناك من هو قد فرغ صبره لكي يصطحبك .

ثم أعلنت وهي تفتح الباب :

– في إمكانك الدخول يا "سيد"، إنها مستعدة.

كانت "دليلة" تتوقع رؤية والدها، لكنه لم يكن هو. تفحصت الشخص الواقف أمامها، ثم بعد عدة لحظات وضحت الممرضة صوتها، وتمتمت قبل أن تنصرف :

– سأذهب لإحضار كرسي متحرك .

في هذه اللحظات شعرت "دليلة" بأنها فريسة شعور حار. "يا إلهي! هكذا فكرت كم هو جميل!" فعملت جاهدة على أن تبدو طبيعية على قدر استطاعتها.

– "لوك"، ماذا تعمل هنا ؟

كان يرتدي "جينز" و"تي شيرت". وكان في احتياج إلى الذهاب إلى

الخلاق؛ لأن شعره كان يتساقط على عنقه، غير أنها قررت أنها معجبة أيضا بمظهره هذا، كان "لوك" يتفرس فيها، ينظر إلى أعماق عينيها .

– بحسب رغبتك؟ لقد أتيت لاصطحابك إلى المنزل .

– أنا لا أفهم... إن والدي ..

– لقد عثر القاضي على كمية أسماك في النهر، وكان من كرم أخلاقه أنه أعارني سيارته.

سألته "دليلة" دهشة :

– سيارته؟ هل مكث عندي؟

– نعم. لقد أعطيته سريرك، أما أنا فكنت أنام في المخزن بالتاكيد، والآن وجب تغيير كل هذه الأوضاع بعد عودتك إلى المنزل.

كررت "دليلة" :

– منزل... إذن لقد اعتنيت يا "لوك" بخرافي وبكل شيء ؟

أجابها:

– والدك وأنا .

كانت "دليلة" تنتقل من مفاجاة إلى أخرى . والدها يعتني بالخراف جنبا إلى جنب مع "لوك" !

– ولماذا لم يخبرني أحد بذلك؟ الجميع كانوا يعلمون: والدي، "روي"، "مارا – جان" .

– كانوا لا يعلمون ماذا سيكون وقع كلامهم عليك، إنك يا "دليلة" في آخر لقاء لنا وبعد آخر حديث دار بيننا أعطيتني مهلة أربع وعشرين ساعة من بعدها أختفي من حياتك. إنك ذات شهرة قوية في العناد ...

– من منا أكثر عنادا؟ في آخر مرة رأيتك فيها وأنت بالقرب من الطائرة، عندما كنت تصر على تحريك هذا الحطام معرضا حياتينا للخطر أنت وأنا !

– لو كنت لم تتخذي هذه القرارات السريعة...

– أنا؟ وما هي هذه القرارات التي كنت أستطيع اتخاذها؟ ما الذي

تبحث عنه؟ إثبات أخطائي؟ لديك ما كنت ترغب فيه. لماذا لا تتصرف بهدوء ؟

– إنك دائما لا تجيدين الفهم! كان أمامك كل هذا الوقت للتفكير لكنك لم تستفيدي به !

توقف "لوك" لحظة، أغمض عينيه وتنهد، ثم مال عليها لكي يقبلها... تظاهرت "دليلة" بالخجل، لكن سرعان ما رفعت الراية البيضاء. ها هو أخيرا هنا، يقبلها ولقد كف العالم عن الدوران. وقفت الممرضة من خلفهما .

قالت وهي تسعل :

– حسنا. ها نحن! هل أنتما مستعدان للرحيل ؟

أجابها "لوك" :

– نعم. سنعود إلى المنزل .

*****

إنه يوم من أيام شهر نيسان (إبريل)، يوم رائع مشمس: الأشجار مزدهرة والنحل يطن فوق المرعى الذي كان قد عاد إلى خضرته المعتادة .

كانت "دليلة" جالسة في الحديقة تحت شجر التفاح، "ليدي" ناعسة بالقرب منها، كانت تستعد لمد خيوط النسيج على النول وكان هذا يتطلب فترة عزلة طويلة .

كان "لوك" قد وعدها اليوم ذاته بان يحضر لها النول الكبير في الحديقة، في هذه الأثناء سيعتني هو بالخراف بمعاونة بعض الطلاب .

كان القاضي قد سافر في الصباح و"لوك" كان قد وعد بألا يزعجها، حتى إنه فكر في إعطائها أحد أجراس الخراف لكي تستخدمه عندما ترغب في ندائه .

لكنها كانت لا تعرف بالضبط ما يربطه بالبقاء هنا ربما أنه يشعر بأنه مسؤول عن الحادثة التي وقعت لها؟ لكنها قالت لنفسها إن السبب لا

بهم، المهم هو أنها تحبه وأنه بالقرب منها وهذا كان كافيا جدا .

سمع صوت غلق الباب وأصوات أتت إلى مسامعها، كان قد وعدها...

تقدم نحوها، وبذراعه شابة شقراء رائعة الجمال، استقبلتهما "دليلة" بابتسامة عريضة .

– أعلم أني وعدت يا "دليلة"، لكن "جلينا" كانت ذاهبة إلى "تاهو" و....

قالت وهي تضحك :

– هذا لا يزعجني، أعتقد أنها أختك. يا لها من مفاجأة جيدة !

قالت "جلينا" :

– أتعشم أن هذا لا يزعجك حقا أن أصل بهذه الصورة؛ لأني كنت قد فقدت الأمل في تلقي أخبار عنه فاتيت إلى هنا. أعتقد أنه ببساطة قد تجنبني .

قال "لوك" لـ"دليلة" :

– أترين؟ ماذا كنت قد أخبرتك .

– قد أحلف أنه لم يقل لك إنه كان ذاهبا إلى حفل زواجي قبل أن يتحطم أليس كذلك؟ إن بعض الأشخاص يقومون بأي شيء لكي يتجنبوا زيجة! غاية ما في الأمر لقد رغبت في الحضور للتأكد من أنه غير مصاب لكني لم أكن متوقعة أبدا أن أراك مصابة، لن أمكث طويلا، هذا وعدمني.

قال "لوك" :

– ألمح "جوش" الذي وصل الآن، وجب أن يساعدني على إنشاء مد قناة إلى مخزن. أترككما يا سيداتي .

أردفت "جلينا" :

– انصرف، سنعتاد غيابك وإن كنت أعتقد أنك تصدق ذلك بصعوبة... لكن هانت لك آلة نسيج في "نافاجو" ؟

إن إنتاج هذه الآلة يساوي ثقله ذهبا. لست أدري إذا كانت تربية المواشي عملية مربحة، لكن إذا رغبت في زيادة دخلك...

أجابت "دليلة" في أدب :

– سوف أفكر في ذلك .

ساد بعد ذلك سكون طويل عليهما، نوع من التحفظ الذي يتبعه عادة اثنان لا يعرفان بعضهما عندما يتواجدان بمفردهما فجأة . تقدمت "جلينا" عدة خطوات نحو شجرة تفاح عجوز .

قالت :

– إن المكان رائع هنا، هل سقط هنا "لوك" ؟

أجابت "دليلة" بالإيجاب بإشارة من رأسها. كانت الطائرة قد اختفت أثناء إقامتها في المستشفى. غير أن "جلينا" لم تطلب من "لوك" مزيدا من التفاصيل .

نظرت "جلينا" إلى "دليلة" ثم قالت :

– لا أدري كيف أتصرف لو أصاب "لوك" مكروه .

قالت "دليلة" :

– يبدو أنكما قريبان من بعضكما.

– قريبان؟! ألم يخبرك بشيء؟ إنه هو الذي رباني.

– لا. لم يقل شيئا .

– "لوك" ليس أخي فقط إنما كان لي بمثابة أم حقيقية!! لقد رحلت أمي عندما كنت طفلة صغيرة جدا وكان "لوك" صبيا في الثانية عشرة من عمره .

عادة ما يكون الصبية غير محتملين في هذه السن، غير أن والدي كان دائما بعيدا عنا؛ لذلك اعتنى بي "لوك"، كان ممتازا. إنه هو الذي كان يرضعني، يبدل لي ملابسي، يعتني بشعري، يقرأ لي...

صاحت "دليلة" حينئذ .

– القصص !

تذكرت أشياء عديدة : "لوك" وهو يعطيها طعامها في سريرها، يعلق ملابسها الداخلية في المرعى، "عندي أخت" ... هكذا كان قد قال لها عندما ثارت، لقد بدأت "دليلة" تستوعب تصرفاته.

تأثرت "دليلة" عندما تلقت كل هذه المعلومات عن الرجل الذي كانت تعتقد أنها بدأت تعرفه.

– وعندما كبرت، لابد أن "لوك" اهتم بدراسته ؟

– دخل جامعة "هوستون" حتى يتمكن من البقاء في المنزل؛ إذ كنا في هذه الفترة نعيش في "جالفيستون"، كان والدي يعمل في البحرية. وتوفي في إحدى العواصف الشديدة، حينئذ عزلنا من السكن و"لوك" بدأ يعمل في "ستانفورد". في هذه الفترة كان يقوم بدور الأم والأب. كان يجعلني مجنونة! أنا التي كنت أحلم بالاستقلال، كان يأسرني وأخيرا تخيلي ...

أجابتها "دليلة" وهي تبتسم لها:

– حسنا جدا. وبعد ؟

– كبرت، ثم فهمت أنها طريقته التي يخبرني بها أنه يحبني، لم يخبرني بذلك أبدا لكني أشعر به. وهذا هو المهم... ثم تعلمت أن أطرده عندما يبالغ في تدليلي .

– تقصدين أن الأمور تسير ؟

– أحيانا، لكن هذا راجع للمعجزة .

سأل "لوك" الذي كان قد وصل :

– من تتكلم عن المعجزة ؟

أجابت "جلينا" وهي تتبادل نظرات اشتراك في الأمر مع "دليلة" :

– لا أحد .

– إذا شئتما التوجه إلى المائدة فالغداء معد .

أما "دليلة" فكانت تفكر في مختلف الطرق لقول: "أحبك"، كثيرا ما كان والدها يرددها لها خلال سنوات غير أنها سمعتها فقط منذ فترة

قصيرة، منذ أن كان عندها بالمستشفى .

أخذها "لوك" بين ذراعيه وهي قد أحاطت بعنقه ونظرت إلى عينيه، نعم إن حبه لها كان قائما على حقيقة، كانت لا تستطيع أن تقول له ذلك لكنها كانت تتعشم أنه سيقرأ في عينيها الصفح والوعد .

*****

كانت "جلينا" قد سافرت لكي تلحق بزوجها في "تاهو" .

كانت هذه هي المرة الأولى– منذ وقوع الحادثة– أن انفرد "لوك" بـ"دليلة"، كانا جالسين أمام المائدة، أثناء ما كانت تتناول قدحا من القهوة. كان "لوك" يفكر في تلك الليلة التي قضاها في السجن وفي اللقاء الذي كان ينتظره عندما عاد إلى المنزل، وكان الوقت قد مر منذ هذا الصباح الموعود ...

– لقد أخبرتني "جلينا" بأن الأغطية التي أقوم بصنعها تقدر بمال، وأن كثيرا من الناس سوف يدفعون مبالغ ضخمة لتعلم هذه الحرفة على طريقة "نافاجو". إن الحيوانات تهبني وقتا حرا خلال شهور معينة ربما يفيد ذلك في حل مشاكلي المالية ...

أجابها "لوك" في غير حماس :

– فكرة جيدة .

قالت بصوت منخفض :

– واجب علي أن أقدم لك الشكر .

– أنا؟ لماذا ؟

– كيف كنت سأواجه هذا الموقف بدونك. وجب أن تعلم ذلك .

– أيتها العنيدة، كان من الممكن أن تتصرفي بطريقة أو بأخرى، إنك قوية، إنك مناضلة يا "دليلة"، منتصرة. أشعر بأني تسببت لك في مشاكل أكثر مما أكون قد أفدتك في حل البعض منها .

"كم أني محتاج إليك"! هكذا كان يفكر، علما بانه ليس لديه أعذار

لكي يبقى معها.

استنشق "لوك" كما من الهواء .

قال :

– جلستنا الأسبوع القادم .

– وما الذي سيحدث إذن ؟

– إما أن نحصل على تصريح بالاستمرار وإما لا .

– أرى ذلك. وإن لم تحصلوا عليه ؟

– سنضطر إلى تغيير الموقع، سيرحل الفريق للعمل في مكان آخر .

– أوه... وهل ينبغي أن تتبع الفريق ؟

– ليس إجباريا لكني ساقوم بذلك؛ لأنك لست محتاجة الآن إلى معونتي... إن عجلة العمل قد دارت جيدا .

فترة صمت. سألته بنبرة مرحة :

– والبانيو ؟

– البانيو.

– لقد قلت لي إنك مشتاق أن تراني وسط رغوة الشامبو... حتى إلى الذقن.

– أنا قلت هذا ؟ أنا ؟

– نعم، نعم. لكن يجب الانتظار حتى يرفعوا لي الحبس، اللهم إذا كان لديك حل آخر ؟

تمتم :

– لا .

– إذن يلزمك الانتظار حتى تشفى ساقي تماما .

تمطت "دليلة" مثل القطة، ثم أردفت :

– "لوك"... هل في إمكانك أن تساعدني؟ أريد أن أذهب إلى السرير.

– إلى السرير؟ لكن الوقت مازال بعد الظهر، اقترب منها ببطء وهو

يتساءل كيف يحدث أنه يشعر بأنه قابل للانجراح وقوي في الوقت ذاته.

ثم ابتسم لها قائلا :

– إننا مازلنا في فترة ما بعد الظهر .

– حسنا– على الأقل– أننا لسنا في الصباح.

استطرد وهو يحملها بين ذراعيه :

– ينبغي أن ألغي الحكم السابق ذات يوم .

– قريبا. أرجو ذلك .

وضعها برفق وعناية على السرير . ضحكت "دليلة" عندما لاحظت حرصه الشديد .

قالت :

– لا تخف لن أكسر .

ثم أضافت :

– أمر عجيب أليس كذلك، عجيبة هي الطريقة التي تتم بها الأحداث في هذه الأيام!

تمتم :

– ماذا مثلا يا حبي ؟

– لست أدري... ربما القدر .

– كنت أظنك لا تعتقدين في القدر والمكتوب والمصادفة .

– كنت لا أعتقد في كل ذلك، لكن... أوه، "لوك" هل تتذكر عندما كدت أحطم كل شيء عندما قررت نزولك إلى المدينة عندما تعطلت السيارة؟ إذا كانت قد انطلقت وقتئذ ما كنت هنا حاليا، لم يحدث هذا قبل هذا اليوم ولم يتكرر منذ ذلك الحين. فإن لم يكن علامة للقدر، إذن ما هذا ؟

مكث "لوك" صامتا، لكنه كان لا يشعر بالارتياح .

– أليس شيئا يدعو إلى التفكير يا "لوك" ؟

– لا، عندي اعتراف أدلي به لك .

ارتكزت "دليلة" على كوعيها وألزمها على النظر إليه .

قالت وقد لمست الحيلة :

– أوه ، لا .

– أخشى أن يكون نعم. لا أعتقد أن يكون القدر قد لعب دورا كبيرا في هذه القصة. أنا... كنت قد قمت بتغيير معين في الموتور..

– ماذا عملت يا "لوك" ؟!

– كنت قد انتزعت منه جزءا ثم أعدته قبل النزول إلى المدينة .

تفرست فيه غير مصدقة ثم ألقت بنفسها على الوسادة وانطلقت في الضحك .

وقف "لوك" ينظر إليها وهو لا يعرف بأي مظهر ينبغي أن يبدو أمامها

أخيرا قالت وهي تمسح دموعها بظهر يدها :

– أوه، "لوك"، إنك حقا شيطاني .

– لا. إنما بالضبط إنسان محدد. هل تسامحينني؟

قالت في بساطة :

– بالتأكيد. إني أحبك. لكن عندي أنا أيضا اعتراف أقوله لك :

– هيه! وما هو ؟

– أنا لست حساسة لدخان السجائر، فقط إني لا أحب التدخين... وكنت وقتها متضايقة وأخيرا ليس هذا ما كنت أقصد قوله، التدخين ضار بالصحة ويضفي اصفرارا على الأسنان لكني بما أني قلت إنك جميل جدا...

أمسك "لوك" بها، ضمها إليه قائلا قبل أن يقبلها :

– كم أحبك يا "دليلة"!

وأغرب من ذلك كان أمرا طبيعيا أن يعلن لها حبه بقدر ما يستنشق كمية من الهواء .

تمّت بعون الله